حتى لاتغرق السفينة

فضيلة العلامة الشيخ
سلمان بن فهد العودة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحد ه لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله – تعالى – وسلم عليه، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام ، ودعامة راسخة من دعائم المجتمع الرباني ، دلت على ذلك النصوص ، وشهد به التاريخ ، ونطق به الواقع .

والأمة اليوم تحتاج إلى إحياء تلك الشعيرة ، وتقوية تلك الدعامة ، لتنفض عنها بذلك ما علق بها من الغبار الذي أثاره عليها الكيد الخارجي والداخلي ، الذي لم يكن ليفعل فعله لولا انحسار المفهومات الإسلامية لدى الأمة ، وبعدها عن دينها .

والمتصدي لبعث ما اندثر من تلك الشعيرة ، ولتقوية مابقي منها يحتاج – بلا ريب – إلى فقه فيها ليسير على هدى ونور، يجنبه الزلل والشطط ، ويبصره بالسبل المثلى لأداء تلك الرسالة الجليلة والمهمة الشريفة .

من هنا كانت كتابة تلك السطور ، إسهاماً في تجلية ذلك الفقه ، وإضاءةً للطريق ، وتنبيهاً إلى المحذورات ، وإزالة للمعوقات .

وذلك من خلال الوقفات التالية :

0- المقياس الذي يعلم به المعروف والمنكر .
- ضرورة الأمر والنهي .
- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- عقوبات تركه .
- حكمه .
- مراتب الانكار .
- قضية الانكار باليد .
- وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- من يقوم به .
- آدابه .
- قضية المصلحة والمفسدة .
- مهمة الشباب في ذلك المجال .

- المرأة ومقاومة المنكر .
- معوقات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- نماذج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المقياس الذي يعلم به المعروف والمنكر

المعـــروف مـــأخوذ من (المعرفة) وهي في أصل اللغة العربية : اسم لما يعرفه القلب ويطمئن إليه وتسكن إليه النفس . ولذلك سمي المعروف معروفاً .

والمعروف شـرعاً : اسم جـامع لكل ما يحبه الله – تعالى – من طاعته ، والإحسان إلى عباده .

(والمنكر) في اللغة : اسم لما تنكـــره النفـــوس ، وتنبو عنه ، وتشـــــــــــمئز منه ، ولا تعرفه . فهو ضد المعروف .

وهو في الشرع : اسم جامع لكل ما عـرف بالشـرع والعقل قبحه ؛ من معصية الله – تعـالى – وظلم عبـاده .

وبناءً على هذه التعريفات يتبين لنا الأمران التاليان:

الأمر الأول: أن المقيـــاس في معرفة المعـــروف والمنكر ليس هو عـرف النـاس ، وتقاليـدهم وما شـاع بينهم ، فـإن عـرف النـاس متقلب ، إذ قد يعروفـون اليـــوم شـــيئاً ويألفونه ويعتادونه ، ثم غـــداً ينكرونه ويضادونه . كما أنهم قد يفعلون نقيض ذلك ، فينكرون اليـوم شـيئاً ، ثم غـداً يألفونه ويعملـون به . وكم من معروف جرى في أعرف الناس إنكاره !!

أرأيت – مثلاً – إعفـاء اللحى الـذي أمر به النـبي صـلى الله عليه وسلم ، كما في حديث أبي هريـرة وابن عمر وغيرهما في الصـــحيح (1) ؟! أرأيت كيف يصـــبح ذلك المعروف في بعض المجتمعات أمراً منكراً ، يشيع ضده ، ويغـدو الإعفـاء مسـتغرباً ، لم يعتـده النـاس ، ولم يألفوه ؟!!

أرأيت تقصير الثياب ورفعها إلى ما فـوق الكعـبين ، أو إلى منتصف الســـــاق، أو إلى ما دون الركبة في حق

الرجال ، ذلك الأمر الذي ثبت في الشـرع ، بدلالة عـدة نصوص ، منها قوله عليه الصلاة والسلام ، ((ماأسـفل من الكعبين من الإزار ففي النار)) (2) ؟!!
أرأيت كيف يحدث هذا في تلك المجتمعات ؟! وكيف إذا رأوا رجلاً قد رفع ثوبه إلى نصف السـاق أوحوله ، طفقـوا ينظـرون مليا باسـتغراب إلى ذلك الرجل ويتغامزون ، وقد يتضاحكون ؟!
أرأيت كيف صار هـذا المعـروف في الشـرع منكـراً في بعض الفئات ؟!
أرأيت احتجاب المرأة ، الذي عرف بالشرع قرآناً وسـنةً ؟! أرأيت كيف أن بعض المسـلمين في بعض المجتمعات قد يجهلون ذلك المعروف ، فإذا رأوا امراة متحجبة متسـترة ، ضـحكوا منها ؟! وكيف أن بعضـهم ربما قـال ما شـأن هـذه المـرأة كانها خيمة تمشي !! وكيف قال آخرون : إنها إنما تسترت لأنها دميمة فتريد أن تخفي قبحها !!.
وكم رأينا في بلاد تنتمي إلى الإسـلام أن اللبـاس الرسمي في المدارس وغيرها للذكور هو (البنطلـون) الـذي ينـزل تحت الكعـبين في حين أن لبـاس البنـات الرسمي هو ثـوب شـحيح إلى الركبة أو فوقها بقليل ! فيا للعار !.
وعلى الضد من ذلك ، كم من منكر أصـبح معروفـاً مألوفاً في بعض المجتمعات :
فالغنـاء – مثلاً - منكر واضح ، ولكن حين يقـوم امرؤ ببيان تحريمه ، ويذكر الأحاديث الصريحة في ذلك ، تجد كثـيراً من النـاس يفغـرون أفـواههم ، ويشخصـون أبصـارهم ، ويأخذ منهم الاسـتغراب مأخـذاً عظيمـاً ولسـان حـالهم يقـول : كيف يكـون حرامـاً هـذا الغنـاء الـذي نسمـعه في الإذاعـات والتلفـاز وأشـرطة التسـجيل ؟! وربما يسـمعون من بعض المنتسـبين إلى العلم من يبيحه , فكيف يكون حراماً ؟!.
هكذا يتعجبـون ، ولا يقع في أذهـانهم أنه منكـر، لأنهم ألفوه وسكنت إليه نفوسهم ، فصار عنـدهم معروفـاً ، وهو في الشرع منكر.

---

(1) البخاري (5553) ومسلم (259). (2) رواه البخاري (5450)

والربا الذي شاع بين المسلمين ، في البنوك والمصارف والمؤسسات ، حتى لا يكاد يخلو منه إلا القليل ، وأصبح الأمر كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام ، في الحديث الذي رواه البخاري ((ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام)) (1)
أرأيت حين يتحدث ناصح عن تحريم ذلك المنكر العظيم ، أو عن تحريم بعض صوره الشائعة عند الناس ؛ كيف تجد كثيراً منهم يفاجأ ويستغرب ؟! بل ربما رمى بعضهم ذلك الناصح بالعظائم لأنه يستنكر أمراً عرفوه وألفوه واطمأنت إليه قلوبهم ؛ فصاروا يرونه معروفاً . وشرع الله منكر قبيح !!
ومثل ذلك الصور – وخاصة الخليعة - من صور النساء الفاتنات التي انتشرت بين المسلمين اليوم عبر الشريط والكتاب والمجلة والجريدة وغيرها ، تلك الصور التي أصبحت تقابل الناس في البيت والسوق والطائرة والمكتبة ، وفي كل مكان .. حين يألف المرء رؤيتها ويعتادها ، تصبح في نظره عادية مستساغةً ، فإذا سمع من يقول : إن النظر إلى صور النساء في المجلات والكتب والأفلام وغيرها حرام ومنكر ؛ فإنه يستغرب ، ويقول : هذا مسكين , الناس اليوم يعانون من النظر الى الفواحش من المشاهد الجنسية الهابطة التي تقضي على الحياء ، وهذا المسكين مازال يتحدث عن تحريم النظر إلى الصور !!
هكذا تصبح بعض المنكرات معروفاً ؛ بسبب الذيوع والانتشار والإلف والاعتياد ، عند كثير من الناس .
لكن عرف الناس لا يغير الشرع ، وإنما العبرة في التحسين والتقبيح بالشرع ، وبالعقل الصحيح والفطرة السليمة ، وهما لا يمكن أن يعارضا الشرع في ذلك .
الأمر الثاني : أن الأصل في المجتمع المسلم أنه يعرف المعروف ويقره ويرضاه ويأمربه . وأنه ينكر المنكر ويأباه وينهى عنه .

فـــإذا أردت أن تقف على مـــدى ســـلامة مجتمع ما ، أوفساده ، فطبق عليه هـذه القاعـدة ، فـإن جدته ينفر من المنكــرات ويحاربها فهــذا دليل على ســلامته في الجملة .
وإن وجدته يتقبل المنكــرات ويتشــرب بها فــاعلم أنه مجتمع منحل .

---

(1) رواه البخاري (1977)

ولــذلك كــان أســلم المجتمعـات وأحســنها وأنقاها هو مجتمع الصــحابة رضي الله عنهم ، إذ كــانوا يعرفــون المعــروف وينكــرون المنكر ، ولهــذا قــال عبدالله بن مسـعود في الأثر الصـحيح الـذي رواه الحـاكم وغـيره : ((مارآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، ومـارآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح)) .
ثم ضــرب لــذلك مثلاً ؛ وهو أن الصــحابة اتفقــوا على اختيـــــار أبي بكر – رضي الله عنه – للخلافة , فهــــــذا الاتفـاق على ذلك الاختيـار يـدل على أنه أمر يحبه الله ويرضــاه ، ولــذلك أصــبح من جملة عقائد أهل الســنة والجماعة تفضيل أبي بكر على من عداه من الصحابة ، والإقرار بأنه أول الخلفاء الراشدين ، ومن بعـده عمـر، ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين .
ولهـذا أجمع المسـلمون على قبـول إجمـاع الصـحابة ، وعلى أنه حجة فإذا اتفق الصــحابة – رضي الله عنهم – على أمرٍ ؛ أصبح المسلمون من بعـدهم متعبـدين بـذلك الأمر .
وإجماع الصـحابة – مـتى ثبت وصح وتحقق – من الأدلة الشــرعية ، لم يخــالف في ذلك أحـــد من المســلمين ، ولذلك كـان الإمـام مالك – رحمه الله – يأخذ بعمل أهل المدينة فما وجد عليه عملهم في القرن الأول عده من ضمن الأدلة الشرعية ، وهـذا أصل خـاص بالإمـام مالك وكان رحمه الله يفسر ذلك بأن عمل أهل المدينة إنما هو على النبــوة أما عمل الأمصــار الأخــرى فإنه على أوامر الملوك ، كما ذكر ابن عبد البر وغيره .

وإذا أردت أن تطبق القاعـــدة المـــذكورة آنفـــاً على المجتمعات الإسلامية اليوم ؛ وجـدتها بلا شك تتفـاوت تفاوتاً كبيراً ولكن يغلب على هـذه المجتمعـات هنا في الجملة أنها تتقبل المنكـــــرات وتألفها وتنتشر بينها بسرعة .

فما أسرع ما تنتشر الأزيـاء الأجنبية في أوسـاط نسـاء المســـلمين ، إذ بمجـــرد ما تظهر مغنية أو ممثلة أو عارضة أزيا بزي من الأزياء فسرعان ما تجدهن يتبارين ويتنافسن على تقليده .

وماأســـــرع ما تفشو تســــريحه معينة للشـــعر بين المسـلمات بمجـرد ما يـرين مغنية أوممثلة أو فـاجرة تتزين بها .

وماأســرع ما يشــيع بين شــباب المســلمين كثــير من الظواهر المنحرفة ؛ تقليـداً لشـباب الغـرب سـواء في الملبس أو في الشعر أو في مظهر السيارة أوفي غير ذلك .

إن تلك الظـــواهر الغربية الـــتي تشــيع بين شـــباب المسـلمين إنما رأوها عند غـير المسـلمين ، فأخـذوها عنهم ، ســواء حين يســافرون إلى تلك المجتمعــات ، ويشاهدون تلك الظواهر عياناً أوحين يشاهدون الأفلام والمسلسـلات الـتي تعـرض الأوبئة الموجـودة في بلاد غير المسلمين .

وإن في تلك القابلية والطواعية لتقليد الكـــافرين في منكراتهم لدليلاً واقعياً واضحاً على الفـراغ الكبـير في عقول وأرواح كثير من المسلمين .

ومع ذلك فإن هذه المجتمعـات لا يمكن أن يقـال : إنها مجتمعــات جاهلية مطلقــاً – كما يقــول بعض العلمــاء والمفكـرين من المسـلمين – لأن الرسـول صـلى الله عليه وسلم أخـبر أنه لا يـزال في المسـلمين من يـأمر بــالمعروف وينهى عن المنكر ، ومع ذلك بيانه ، صــلى الله عليه وسلم لمعنى قول الله تعالى :[وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون](ســورة الأعـراف 181) فقد بين عليه الصـلاة والسـلام تلك الآية في أحـاديث كثـيرة منها الحـديث المتـواتر الـذي أخـبر فيه أنه ((لا تـــزال في هــذه الأمة طائفة منصــورة لا يضــرهم من خذلهم ولا من خـالفهم))(1) وإنما سـماها منصـورة ؛

لأنها مجاهـدة ، تجاهد على أمر الله ؛ تـأمر بـالمعروف وتنهى عن المنكر , والنصر من ثمرات الجهاد .
إذن لا يمكن القــول بوجــود جاهلية مطلقة في الأمة الإسـلامية من اقصـاها إلى أقصـاها، في أي زمـان إلا قبيل قيام الساعة ؛ حين يبعث الله تعالى الريح الطيبة فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمـان إلا قبضته ، وحينئذٍ لا يبقى إلا شرار النـاس يتهـارجون تهـارج الحمـر(2) وأفضل إنسـان حينـذاك من إذا رآهم يفعلون الفاحشة على قارعة الطريق قال: لو اعتزلتم الطريق (3) !! وهؤلاء تقوم عليهم الساعة .
وهنا سر عظيم ، وهو أن الله – تعـالى – أنـزل القـرآن وبعث الرسل وأوجد الكعبة وأبقى الطائفة المنصــورة لتحقيق الحجة على النــاس وإقامة الــدين والشـعائر ، فإذا تعطلت منافع هذه الأشياء أذن الله بزوالها .
وحينــذٍ يبعث الله ذا السـويقتين من الحبشة ، فيهــدم الكعبة ويقلعها حجـراً حجـراً ويسـتخرج كنــزها (4) ولا يعــود هنــاك من يحج أو يعتمر أو يصــلي إلى الكعبة ويرفع الله القرآن من المصاحف وصدور الرجال حــتى لا يبقى في الأرض منه آية (5) ويبعث الله – عز وجل – ريحــــاً طيبة فتقبض أرواح المؤمــــنين الآمــــرين بالمعروف والناهين عن المنكر ؛ لأنه لم يعد هنــاك من يستجيب لهم , وبعد ذلك تقوم الساعة .

---

(1) رواه البخاري (3441) (3442) ومسلم (1921)
(2) رواه مسلم (1937)   (3) مستدرك الحاكم 3/473.
(4) البخاري (1514) ومسلم (2909) ومسند أحمد 2/291
(5) ابن ماجه (4049) والحاكم 4/473

أما قبل ذلك الحين فلا يزال في الأمة من يصيخ لصوت النذير ، ويرق لداعية الحق ويسلس قيـاده للخـير ، قَـل هؤلاء أو كثروا، ولذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم " الغريــاء " في الحــديث الصــحيح المعــروف وذكر من صفتهم أنهم : ((أنـاس صـالحون قليل في أهل سـوءٍ كثير ، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم))(1)
إذن ما دام هناك دعاة إلى الحـق، آمـرون بـالمعروف ، نــاهون عن المنكر فهنــاك من يــذعن لهم ويطيعهم

ويستجيب لداعيهم ، فما أعظم عدل الله، وما أوسع رحمته !

الأمر والنهي ضرورة بشرية

الأمر والنهي فطرة في نفس كل إنسانٍ حتى لو كان يعيش منفرداً معتزلاً الناس , فلا بد أن تأمره نفسه وتنهاه ، فإما أن تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، أو على الضد من ذلك تأمره بالمنكر وتنهاه عن المعروف ، أوتأمره بخليط من هذا وذاك ، وتنهاه عن مثله . ولذلك قيل : نفسك إن لم تشغلها بالخير؛ شغلتك بالشر .

وما دام الإنسان الواحد المنفرد يتعرض للأمر والنهي ، فأولى بالمجتمعين أن يكون بينهم أمر ونهي سواء كانوا اثنين ، أو أكثر من ذلك بقليل ، أو مجتمعاً كاملاً ، أو أمة . بيد أن هناك ثلاث حالاتٍ للمجتمعات في مجال الأمر والنهي :

الحالة الأولى : أن يتآمروا بالمعروف ، ويتناهوا عن المنكر ، وهذه هي الحالة التي وصف الله تعالى بها المؤمنين فقال ((تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) (سورة آل عمران 110) , وقال سبحانه ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) (سورة التوبة 71) .

الحالة الثانية : أن يتآمروا بالمنكر ، ويتناهوا عن المعروف ، وهذه حال المنافقين ((والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف)) (سورة التوبة 67) .

وهنا وقفة مع سر بلاغي في الآيتين السابقتين ؛ حيث قال الله تعالى : ((المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)) وقال سبحانه : ((والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض)) وقد يتبادر إلى الذهن أن يكون التعبير ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض)) ((والمنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض)) لأن علاقة المؤمنين بعضهم ببعض أمتن وأقوى ، فيعبر معها بـ ((بعضهم من بعض)) ويعبر مع علاقة المنافقين بعضهم ببعض بـ ((بعضهم أولياء بعض)) .

(1) أنظر في تخريج الحديث ورواياته وشرحه كتاب ((الغربـاء الأولـون)) للمؤلف ص 37 .

والسر في هذا التعبـير القـرآني والله أعلم : أن علاقة المؤمنين بعضهم ببعض علاقة اتفاق على الـدين الـذي يدينون به ، ولـذلك يتوالـون فيه ، وليست علاقة تناصر على الباطل .

أما المنافقون فهم لا يتوالون من أجل دين أو عقيدة ، وإنما يتوالــون ويتناصــرون على الباطل فكلما ذهب بعضهم إلى شيء وافقهم الآخرون وناصـروهم ، مهما كان ذلك الشيء .

الحالة الثالثة : أن يتـآمروا ببعض المعـروف وببعض المنكر ، ويتناهوا عن بعض المعروف وعن بعض المنكر ، فيقع منهم حق وباطل ويلتبس هذا بـذاك . وهـذا هو حال المقصرين والعصاة والمسرفين على أنفسهم .

وبناءً على ما سـبق نعلم أن المجتمع إما أن ينتشر فيه الأمر بـــــــالمعروف والنهي عن المنكر ، أو ينتشر فيه الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف أو يكون خليطاً من ذلك .

وانحســـــار الأمر بـــــالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمع من الجتمعات ذو خطورة مضـاعفة ، على خلاف ما قد يتبـادر إلى بعض الأذهـان فـإن بعض النـاس إذا رأوا غيــــاب الأمر بــــالمعروف والنهي عن المنكر أو ضــعفه في مجتمعــات المســلمين اليــوم ظنــوا أن المشــكلة هي فقط أن الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر قد زال أو ضعف .

والواقع أن المشـــكلة أبعد من ذلك وأكــــبر ، فإنه إذا ضعف الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر قـوي الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، فالمصيبة مضاعفة .

وهـذا أمر يشــهد له الواقع . وإذا أردنا أن نمثل لــذلك فلنأخذ مثلاً وضع الفتـاة المتحجبة المتسـترة في بعض مجتمعات المسلمين التي يشيع فيها التبرج والسفور ؛ إننا نجد الفتــــاة تعـــاني معانــــاة شــــديدة من الكلام والنظرات ، سواء من الأبوين أو من الـزميلات ، أو من القريبات ، أومن غيرهن وذلك لأنها تسبح ضد التيار , إذ المنكر له قــوة في تلك المجتمعــات لأن المعــروف فيه ضعف فصار اتجاه المجتمع يضـغط بشـدة على كل

من يخـالف مألوفاته وعوائـده مخالفة شـرعية ، ومن العجيب أن ذلك المجتمع يتفهم ويتقبل من يخالفه إلى تقاليد الأمم الكـافرة وعوائـدها ويعد هـذا ضـرباً من " التقــدم " و " والتحضر " و " والمعاصــرة " ! وهكــذا يصـبح المعـروف منكـراً ويصـبح المنكر معروفـاً ! إذن فوضع المجتمعـــــات لا يقف عند حد ، فإما أن يهيمن الخـــــير والمعـــــروف فيستخذي المنكر ، ويستتسر ويستخفي لأن القـوة الاجتماعية والسـلطة السياسـية تقاومه وتحاربه, وإما أن يسـيطر وينتفش ويسـتعلي المنكر فينحسر المعـروف , ولـذلك شـرع في الإسـلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

لا يخلو مجتمع من منكر

وها هنا أمر لا بد من ملاحظته وهو أن وجـــــود بعض المنكر في المجتمع الإسلامي على وجه الخفـاء والقلة أمر طـبيعي لابد من حدوثه ، ولم يسـلم من ذلك حـتى مجتمع الجيل الفريد ؛ صـحابة الرسـول عليه الصــلاة والســـلام فقد كــان في ذلك المجتمع منـــافقون والمســلمون أنفســهم وقع من بعضــهم شــيء من المعاصي ، وفي الصـحيحين عـدة قصص من ذلك مثل قصة ماعز بن مالك الأسـلمي – رضي الله عنه – الـذي وقع في الزنا، فجاء النبي عليه الصلاة والسـلام نادمـاً تائباً إلى الله فقال له : يارسول الله زنيت ، فطهـرني ، فيعرض عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وما يـزال يردد النبي صلى الله عليه وسـلم ، اعترافه بالزنا عـدة مــراتٍ ، حــتى أقــام عليه المصـطفى ، عليه الصــلاة والسلام ، حد الزنا(1).
ومثل تلك القصة قصة الغامدية التي جـاءت إلى النـبي صــلى الله عليه وســلم ، تشــهد على نفســها بالزنا ، وتطلب أن يقيم عليها الحد ، ولما رأت أنه يريد أن يردها قـالت : لعلك تريد أن تـرددني كما رددت مـاعزاً ، والله إني لحبلى من الزنا ، فيأمرها الرسول صلى الله عليه وسلم أن تذهب حـتى تلد . وتـذهب وتقضي مـدة الحمل كلها وحـــرارة النـــدم تأكل قلبها ، وتـــأتي بعد الوضع إلى النـبي عليه الصـلاة والسـلام ، ليقيم عليها

الحد ، فيأمرها أن تـذهب حـتى تفطم ولـدها . وتمضي مــدة الرضــاع كلها وقلبها لا يــزال يقظــاً حيا يتفطر حسرةً . ثم تأتي بعد فطام الصبي إلى الرسـول صـلى الله عليه وسلم ، ومـعها الصبي وفي يده كسرة خـبز ، لتؤكد للنبي عليه الصلاة والسلام أن ولدها أصـبح غنيا عن رضـاعها ، فيـأمر النـبي – عليه الصـلاة والسـلام – برجمها (2).
هكــذا وقع في مجتمع الصــحابة الأطهــار شــيء من المنكــرات ، لكنها حــالات فردية مســتترة مســتخفية وكانت ضمائر الذين يبتلون بشـيء من هـذه المنكـرات حية يقظة ، فما أسرع ما يقودهم خوفهم من الله إلى التوبة النصوح الصـادقة ، بـدون أن يحتـاجوا إلى رقابة أومتابعة خارجية ، ولـذلك ذكر صـلى الله عليه وسـلم ، أن ماعزاً مثلاً تاب توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم .
إذن فمجرد وجود معـاص قليلـةٍ مسـتحقة في المجتمع الإســلامي أمر لا منــاص منه ، ولا يقــدح في ســلامة المجتمع .

(1) البخــاري (5271) ومســلم (1691) و (1695) ورواه أيضــاً أحمد في المســند 2/453.
(2) رواه مسلم (1695) و (1696) .

وهـذا شـبيه – إن أردنا أن نشـبه – بما يطلقه الأطبـاء والمراقبـون الصـحيون على مجتمع مـا، حين يصـفون مجتمعاً من المجتمعات بأنه سليم صحياً فهل يقصدون أن جميع أفراد هذا المجتمع أصحاء تماماً ؟! كلا .. إنما يقصــــدون أن الأمـــــراض العامة ، والأوبئة الفتاكة والمعدية لا توجد في ذلك المجتمع ، أما وجــود حــالات مرضية فردية فأمر طبعي .

لكن الأمر الخطـير القـادح في سـلامة المجتمع هو أن يعلن أصحاب المنكر منكرهم ، ولا يستحيوا من إظهاره ، إذ إن هــذا يــدل على هيمنة المنكر وأهله ، وضــعف المعروف وأصحابه .
إن هـذا يشــبه ذلك المجتمع الــذي تفشت فيه جرثومة الوباء فأصبح الناس يستنشقونها مع الهواء ويشربونها

مع الماء ، ويتعاطونها مع الغذاء فلا يكاد يسلم منها إلا أقل القليل .
وهذا هو الشأن في المجتمعات التي تمكن للفساد ، وتحمي الرذيلة ، وتضع إمكانياتها المادية والمعنوية غطاءً قويا للمنكر ، تعاقب من ينكره – ولو بلسانه – بقوة وحزم ، وتحاصر الناس بالمنكر في أماكن تجمعهم ، وأسواقهم ، ومنتدياتهم ، بل وفي عقر بيوتهم ، حتى يتسلل المنكر إلى ((غرفة النوم)) أو إلى ((مهاجع الأطفال)) وما أخلق المؤمن بالصبر حينئذٍ .. إنه لصبر الجبال !.

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تبرز أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة المحمدية من عدة نواحٍ ، وبموجب أسباب مختلفة ، لعل أهمها :

1. أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبب خيرية هذه الأمة ، وهو من خصائصها وميزاتها التي مَنَّ الله تعالى عليها بها من بين سائر الأمم ؛ قال عز وجل : ((كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله))(سورة آل عمران 110) وقال جلا وعلا : ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعضٍ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) (سورة التوبة 71)

هذه هي صفة المجتمع المسلم وميزته التي جعلت هذه الأمة غرة في جبين الدهر ، وتاجاً يتألق على مفرق التاريخ .
أما المجتمعات الجاهلية الكافرة فديدنها الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف عبر تاريخ البشرية الطويل ، وأبرز شاهد على ذلك المجتمعات المعاصرة التي ارتضت الكفر والضلال ، فإن تلك المجتمعات اليوم تحارب الفضيلة ، وتدعم الرذيلة، متذرعة بالحرية الفردية المزعومة .

إنك تجد في بلاد الغـــــرب – مثلاً – إتاحة الحرية لأهل العـــــري والعهر والفســــاد والرذيلة ، بل تجد ذلك الانحطــاط مفروضـاً على الفــرد وضــمن منــاهجهم الدراســية ، تجد الســباحة العارية والثقافة الجنســية , وفي المجتمعـات الشـرقية يـدرس الإلحـاد للصـبيان الصغار .. فما أحلم الله !!

أما حين يرون بادرة للفضيلة والمعروف فإنهم يقفون في طريقها ، ويئـــدونها في مهـــدها ، ويحاربونها بضراوة . ومن أقرب الأمثلة لـذلك ما حصل قبل فـترة ليست بالبعيــدة في فرنسا ؛ حين ذهبت ثلاث فتيــات مســلمات إلى مدرســتهن ، وقد لبسن الحجــاب على رؤوسـهن فمنــعهن مـدير المدرسة من الـدخول حـتى يخلعن الحجـاب وتطـورت القضـية حـتى درست على أعلى المستويات الرسـمية وتـدخلت فيها دول خارجية للوســاطة عند والد هــؤلاء الفتيات لتغيــير قنــاعتهن بالحجاب . وطفقت الصـحف الفرنسـية تكتب عن هـذه القضـية ، وتحـذر من هـذه الظـاهرة ، وتـذكر خطـورة الإســلام على فرنسا ، وتتبع تــاريخ الحجــاب ، وكيفية نزعه في مصـــر، وأقحمـــوا في تلك القضـــية ثـــورة الخميني الإيرانية ، وهولوا ا لأمر تهويلاً عظيماً !!

سبحان الله !! أين الحرية الفردية الـتي يتغنـون بها ؟! ما هذا الهلع والرعب من هذا التصرف اليسـير الـذي لا يعد شيئاً في خضم ذلك المجتمع المنحل ؟!

إن هـــذه الحملة الشـــعواء لتـــدل على زيف دعـــاوى العلمانية البراقة ، الــتي تتغــنى بالحرية ، فــإذا كــان الإسلام هو الخصم صودرت الحريـات وظهـرت العـداوة والشراسة جلية لا مواربة فيها ولا هدوء.

إذن فهـذا المجتمع باختصـار يـأمر بـالمنكر وينهى عن المعروف .

ولقد رأيت في بعض البلاد الـتي هـاجر إليها كثـير من المســـلمين وأقـــاموا فيها وتزوجـــوا من نســـائها النصــرانيات ؛ رأيت أن بنت الواحد من هــؤلا تمــارس حريتها الكاملة ، فتخرج متى شاءت وتدخل متى شاءت وتــأتي بعشــيقها إلى الــبيت ليجلس معها في غرفتها الخاصة ، والويل لأبيها إن تـــدخل في شــــأنها ، إذ ما عليها حينئذ إلا أن تدير قرص الهاتف لتتصل بالشـرطة ؛ فتـــأتي الشـــرطة وتقبض على الأب ، وتأخـــده إلى

المخفر ، وتجـري معه تحقيقـاً طـويلاً ؛ لأنه تـدخل في حرية البنت !!.
هكـذا يـأمرون بـالمنكر وينهـون عن المعـروف والعيـاذ بالله .
أما المســـلمون الـــذين اختصـــهم الله بالخيرية فهم يتآمرون بـالمعروف ويتنـاهون عن المنكر ، ويتعـاونون على البر والتقوى .

2 - أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـزء من التكافل الذي جعله الله تعالى قائماً بين المؤمنين ، إذ المؤمنـون متكـافلون متكـاملون فيما بينهم ، فمثلاً لا يجـــوز أن يكـــون هنـــاك مســـلم جـــائع والمسلمون حوله يأكلون ملء بطونهم ، ولو حدث ذلك لكـان لـذلك المســلم أن يأخذ ممن حوله من المســـلمين بـــالقوة ما يسد رمقه ، ويقضي به حاجته ، ويكـون المسـلمون آثمين في تخليهم عن مسـاعدته وسد حاجته . وكـذلك الحـال في سـائر الحاجات الضرورية .

ولو وجدت رجلاً يغـرق لـوجب عليك أن تنقـده بقـدر استطاعتك ، حتى لو تـرتب على ذلك أن تنشـغل عن عبادة مفروضةٍ قد شرعت فيها ، من صيام أو صــلاةٍ أو غيرها .

ولو رأيت شخصاً يريد شراء بضاعة فاسدة لكـان واجبـاً عليك أن تبين له أنها فاسدة ، من بــاب التناصح وإرادة الخـــير للمســـلمين ، ومن هنا كـــانت مراقبة الســـلع والأسواق وحماية المسـتهلك جـزءاً من نظـام الحسـبة الشرعية .

هـذا كله لأن المحافظة على (الإنســان) في الإســلام قضــية مهمة جــداً لكن (الإنســان) في الإســلام ليس جسـداً فقط ، وإنما هو جسد وروح فكما أننا مطـالبون بالمحافظة على عقيدتهم وأخلاقهم وتمسكهم بـدينهم ، وذلك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي يتم به تكميل ما يطـرأ على دين بعض المسـلمين من النقص والتقصير ، ويحصل به التكافل الواجب في هذا الجانب .

ياخـــــــــــادم الجسم كـم تشـــــــــــقى لخدمته
أتعبت نفسك فيما فيه خسران

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

3 - أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمانة للبيئة من التلوث الفكري والأخلاقي ، وهذا النوع من التلوث لا يقل خطورة وفتكا عن التلوث الحسي الذي ينجم – مثلاً – عن الحرب الجرثومية التي تفزع الناس ، وتقض مضاجعهم . أو غيرها من وسائل التلويث .

فإتاحة الفرصة – مثلاً – لأهل الرذيلة ليمارسوا الإفساد من خلال الأغنية ، والمجلة والكتاب ، والأجهزة المرئية ، وبيوت الدعارة ، وغيرها ؛ هذا يلوث البيئة العامة ، وينشر الوباء الأخلاقي الفتاك في المجتمع ، مما يعسر مهمة المصلحين ، ويجعلهم يقفون أحياناً عاجزين عن مقاومة تيار الانحلال .

وقل مثل ذلك في نشر الشبهات الفكرية التي تشكك الناس في دينهم ؛ من خلال الكتاب والمجلة والجريدة والشريط والقصيدة ونحوها فإن في ذلك أيضاً تلويثاً للبيئة من الناحية الفكرية مما يجعل كثيراً من الناس يتخبط في بحرٍ من الشبهات التي تتجاذبه من هنا ومن هناك .

إنه لا يجوز أن يقذف بالمجتمع في أحضان الشبهات والشهوات اعتماداً على ما يزعم له من حصانة ؛ فإن الإنسان ليس معصوماً ، وليس لديه حصانة من الضلال أو الانحلال حين يتعرض لسيول الفتنة ، قال الله تعالى : ((وخلق الإنسان ضعيفاً)) (سورة النساء 28) وإنك لتجد الرجل التقي الطاهر قد يتعرض لشبهةٍ أو شهوة ؛ فيظل يعالج قلبه أياماً من جراء ذلك فالنفس أمارة بالسوء والشيطان مسلط على ابن آدم والإنسان مجبول على حب الشهوات .

والمجتمع الذي تظهر فيه المنكرات – فكريةً أو أخلاقيةً – يتعرض لهزات عظيمة ، لا يعلم مداها إلا الله ولهذا قيل : إن المنكر إذا خفي لم يضر إلا صاحبه ، وأما إذا أعلن ؛ فإنه يضر الخاصة والعامة .

ولذلك فإن صاحب المنكر إذا كان في بيئة غير ملوثة فإنه يخفي منكره ، ويبالغ في التواري والاستتار به لأنه يعلم أنه يعيش في بيئةٍ صالحةٍ وأنه يقوم بعمل

ضد المجتمع، فشأنه تماماً كشـأن الـذي يريد أن يقـوم بعمل تخريبي يخل بـأمن المجتمـع، فيخطط وينفذ في الظلام بعيداً عن الأنظار .
لكن صـــــاحب المنكر إذا كـــــان يعيش في بيئة ملوثة موبوءة فإنه يمارس منكره جهاراً على مـرأىً ومسـمع من النـــــاس ، لأنه يحس أنه يقـــــوم بعمل طبعي ، لا يخالفه المجتمع عليه ، وقد يـــؤول الأمر إلى اســـتتار صاحب المعروف واستخفائه خشـية العقوبـة، أو خوفـاً من أعين الناس وألسنتهم الحداد !.
وكم هو مخــزن أن ينشأ بعض أطفــال المســلمين في بيئـــات ملوثة بالســموم الفكرية أو الأخلاقية أو غيرها من سموم الفساد ، فيرضـعون الرذيلة مع حليب الأم ، ويستنشقون الهواء الملوث بالجراثيم المعنوية الفتاكة فينشأ أحـــدهم ضـــحل الثقافة ، بعيـــداً عن الـــدين ، منحرف الفكر والسلوك .
غاية عمله خليط من قمامـات الأغـاني ، والتصـورات التائهة ، والاهتمامات التافهة . لا يكـاد يقيم آيـةً من القرآن الكريم . يستنكر المظاهر الإسلامية إذا رآها ؛ لأنه لم يعتدها ولم يألفها فيستوحش مثلاً من منظر المـرأة المحجبة العفيفة ، ويسـتغرب صــنيعها ؛ لأنه ترعـرع في بيئة ملوثة بضـروب الجـراثيم السـلوكية والفكرية .

4 أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضـمانة من العقوبـات الإلهية الـتي تحل بالمجتمعـات إذا فشا فيها الفساد . وسيأتي تفصيل تلك العقوبـات في المبحث التالي .

العقوبات والاثار المترتبة على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ســـنن الله – تعـــالى – في خلقه ثابتة لا تتغـــير ولا تحابي أحداً ، ولا تتخلف عند وجود أسبابها .
وإن من سـنن الله الماضـية أن يسـلط عقوباته على المجتمعات التي تفـرط في شـعيرة الأمر بـالمعروف

والنهي عن المنكر ((لعن الــذين كفــروا من بــني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مــريم ذلك بما عصـوا وكـانوا يعتـدون . كـانوا لا يتنـاهون عن منكـرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)) (سورة المائدة 78 79) .

ولقد غطى الجهل وقلة الـــدين على قلـــوب بعض السـطحيين ، فـاغتروا بإمهـال الله عز وجل فظنـوا أن تحــذير الغيــورين من مغبة التمــادي في المنكر ، ومن عقبى السكوت عن إنكاره ، ظنوا ذلك ضرباً من ضــروب الإرهــاب الفكــري والتخويف المبــالغ فيه ، وليس له حقيقة .

لكن الذين يستنيرون بنور الوحي ، ويتأملون نصـوص الكتــاب والســنة ، يــدركون تمــام الإدراك العقوبــات العظيمة الــتي ســنها الله في حق كل أمة تخلت عن التآمر بـالمعروف والتنـاهي عن المنكر سـواء كـانت تلك النصوص حكايةً لمصـائر الأمم الـتي فـرطت في تلك الشعيرة ، أو وعيداً لمن سلك سـبيلها وليس من الضروري أن تظهر هـذه العقوبـات بين يـوم وليلـةٍ ، فإن الذي يحدد زمانها ومكانها وصـفتها هو الله – عز وجل – وليس استعجال البشر أو استبطاءهم .

وتلك العقوبات والآثار السـيئة كثـيرة ومتنوعة ، لكن من أظهرها :

1. كثرة الخبث:

روى البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش رضي الله عنها ((أن النبي صلى الله عليه وسلم اســتيقظ من نومه فزعاً وهو يقول : " لا إله إلا الله . ويل للعــرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومـأجوج مثل هذا – وحلق بين إصـبعيه السـبابة والإبهـام – " . فقــــالت له زينب رضي الله عنها : يارســــول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كــثر الخبث ." (1)

إن المنكر إذا أعلن في مجتمع ولم يجد من يقف في وجهه ؛ فإن سوقه تقوم وعوده يشتد وسلطته تظهر ورواقه يمتد ويصــــــبح دليلاً على تمكن أهل المنكر وقوتهم , وذريعةً لاقتداء الناس بهم وتقليدهم إياهم وما أحرص أهل المنكر على ذلك ولهـذا توعـدهم الله جل وعلا فقال ((إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة

في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخـرة))
(سورة النور 19)

فإذا قلد بعض الناس أهل المنكر والزيغ في منكرهم ؛ أخذ الباطل في الظهور ، وهان خطبه شيئاً فشـيئاً في النفـوس ، وسـكت النـاس عنه وشـغلوا بما هو أعظم منه ، وما تـزال المنكـرات تفشـو، حـتى يكـثر الخبث ، ويصير أمراً عادياً مستساغاً ، تألفه النفوس ، وتتربى عليه .

وينحسر – بالمقابل – المعـروف والخـير ويصـبح هو المســتغرب , ولــذلك قــال الخليفة الملهم عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله – في كتـاب إلى أمـير المدينة الذي يأمره فيه بـأن يـأمر العلمـاء بـالجلوس لإفشـاء العلم في المساجد: ((وليفشوا العلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً)).

إنها لعقوبة كبـــــيرة أن يهيمن المنكر ، ويصـــــبح المعروف غريبـاً لكن .. هل يقف الأمر عند هـذا الحد ؟ إليك الإجابة :

2. **إن كثرة الخبث تؤذن بالعذاب الإلهي العـام** والهلاك الشـامل كما دل على ذلك حـديث زينب المـذكور آنفـاً ، الـذي نقل عن جماعـةٍ من الصحابة ، مما يـدل على اهتمـام النـبي صـلى الله عليه وسلم بهذا الأمر .

ولقد بوب الإمام مالك في الموطأ على هـذا الحـديث بابـاً سـماه : (بـاب ما جـاء في عـذاب العامة بعمل الخاصة) وسـاق تحت هـذا البـاب أثـراً عن عمر بن عبدالعزيز ، وهو قوله رحمه الله : كان يقـال إن الله – تبـارك وتعـالى – لا يعـذب العامة بـذنب الخاصة ، ولكن إذا عمل المنكر جهـاراً اسـتحقوا العقوبة كلهم (1) .

وهذا الأثر يـدعم ما سـبق ذكـره من خطـورة الإعلان بالمعصـية ومن وجـوب التفريق بين المنكر المختفي والمنكر الظاهر .

وقد قص الله – عز وجل – علينا خـبر بـني إسـرائيل حين نهاهم أن يعدوا في السبت ولنا في تلك القصة عـبرة ((وإذ قـالت أمة منهم لم تعظـون قومـاً الله مهلكهم أو معـذبهم عـذاباً شـديداً قـالوا معـذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقـون . فلما نسـوا ما ذكـروا به أنجينا

الذين ينهون عن السوء وأخذنا الـذين ظلمـوا بعـذاب بئيس بما كانوا يفسـقون . فلما عتـوا عما نهـوا عنه قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين)) (سورة الأعراف 164-166) **.**
إذن فقد أنجى الله تعـالى الـذين ينهـون عن السـوء فقط ، وأما البقية فقد عـذبهم كلهم . هـذه سـنته – سبحانه – في كل أمة يحق عليها العذاب .

---

(1) رواه البخاري (3168) و مسلم (2880) .

فإن لم يكن في الأمة من ينهى عن السوء والفســاد فلا نجــاة لأحد منها ((فلــولا كــان من القــرون من قبلكم أولو بقية ينهـــون عن الفســـاد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الـذين ظلمـوا ما أترفو فيه)) (سورة هود 116) **.**
وفي حديث جرير الذي رواه أبو داود : ((ما من رجل يكون في قومٍ يعمل فيهم المعاصي يقــدرون على أن يغـيروا عليه ، فلا يغـيروا إلا أصـابهم الله بعـذاب من قبل أن يموتوا)) (2)
إن وجود المصلحين في الأمة هو صمام الأمــان لها ، وســبب نجاتها من الإهلاك العــام ، فــإن فقد هــذا الصــنف من النــاس ؛ فــإن الأمة – وإن كــان فيها صــالحون – يحل عليها عـــذاب الله كلها صــالحها وفاســدها ؛ لأن الفئة الصــالحة ســكتت عن إنكــار الخبث ، وعطلت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاستحقت أن تشملها العقوبة .
وروى أبو داود والترمــــذي عن أبي بكر – رضي الله عنه – أنه قال : ((أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية)) : ((ياأيها الـذين آمنـوا عليكم أنفسـكم لايضـركم من ضل إذا اهتديتم)) (سـورة المائـدة 105) وإنــي سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول : ((إن النـاس إذا رأو الظـالم فلم يأخـذوا على يديه ؛ أوشك أن يعمهم بعقـــاب منه)) (3) وقد روي هــذا الحديث
مرفوعــاً كما روي موقوفــاً ، والــراجح أنه موقــوف على أبي بكر ، لكن له حكم المرفــــوع ، لأنه مما لا يقال بالرأي . والظالم هنا هو المرتكب لأي نــوع من أنواع الظلم الكثيرة ، فالمشرك ظالم ((إن الشرك

لظلم عظيم)) (سـورة لقمـان 13) والعاصي أيـاً كـانت معصيته ظالم لنفسه ولغيره ، سـواء كـان سـارقاً أو غاشا أو منتهكاً عرضاً أو غير ذلك .
وروى حذيفة – رضي الله عنه – أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال : ((والـذي نفسي بيـده لتـأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يسـتجاب لكم)) (4)ـ .ـ يهز القلـوب الحية ويـدفع أصـحابها إلى أن يكونوا من أولي البقية الذين ينهون عن الفسـاد في الأرض لتكون سفينة المجتمع محمية من الغرق الذي يهددها عندما يترك السفهاء يخرقون فيها ،

---

(1) الموطأ 1/ 991 (2) ابو داود (4339)ـ (3) رواه الترمذي (2168) وأبو داود (4338)
(4) رواو الترمذي (2169) وأحمد في المسند 5/ 388.

كما روى النعمان بن بشير عن النبي صـلى الله عليه وسـلم أنه قـال : ((مثل القـائم على حـدود الله والواقع فيها ، كمثل قـوم اسـتهموا على سـفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكـان الـذين في أسـفلها إذا اسـتقوا من المـاء مـروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقـاً ولم نـؤذ من فوقنا , فـإن يـتركوهم وما أرادوا هلكـوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعـاً)) (1).

فالمجتمع تماماً كأصحاب السفينة هؤلاء، فإن الـذين في أعلى السـفينة إن تركـوا الـذين في أسـفلها ليخرقـوا في نصـيبهم خرقـاً وقـالوا : هـذه حرية شخصية لهم ، فليفـعلوا ما شاءوا فـإن النتيجة غـرق السـفينة وهلاك الجميع , وإن أخذ الـذين في الأعلى على أيـدي الـذين في الأسـفل وقـالوا لهم : ليس الإضرار بالملك العـام من الحرية الشخصـية فالنتيجة نجـاة الجميع , وهكـذا حـال المجتمع فـإن أهل الفسـاد الـواقعين في حـدود الله يخرقـون بمعـاول انحرافهم في سفينة المجتـمع, فإن

أخذ المصلحون على أيـديهم ومنعـوهم من الإضـرار بـــــالمجتمع ، نجا الجميع وإن تركـــــوهم في غيهم وتخاذلوا عن الأنكار عليهم ؛ هلكوا قاطبةً .
وقبل أن أترك الحـديث عن هـذه العقوبة أود أن أنبه إلى أمر لا يكــــاد ينقضي العجب منه ، وهو أن بعض الناس يستغربون مثل هذا الكلام يستغربون من قول الناصحين : إن المصلحين حمـاة سـفينة المجتمع من الغرق بل قد يسـتغربون من قـول الناصـحين : إن ما أصـابنا وأصـاب غيرنا من الأحـداث الأخـيرة المؤلمة إنما بسبب الذنوب والمعاصي يستغربون ذلك، ويعزو بعضـهم ما حـدث إلى الأسـباب المادية ويقولـون : كيف تكون المعاصي هي سبب ماحدث ؟ ، والكفـار – مع كفــــرهم – يعيشـــون في نعيم وســـعة عيش ، وتمكين في الأرض ؟!
هكذا يقولون ويظنون متناسين أو جاهلين سـنن الله الثابتة ، والنصـوص الصـريحة الواضـحة ، والوقـائع التاريخية السالفة والخالفة .

---

(1) رواه البخاري (2361).

وهذا منطق الذين لا تتعـدى نظـرتهم الحيـاة الـدنيا ، ومنطق السطحيين الذين ينظرون إلى رقعةٍ محدودة من المكـان، في حـيز محـدود من الزمـان، ومنطق الماديين الـذين يتنكـرون لـوحي الله عز وجل ((ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركـات من السـماء والأرض ولكن كـذبوا فأخـذناهم بما كـانوا يكسبون . أفأمن أهل القـرى أن يـأتيهم بأسـنا بياتـاً وهم نـائمون . أو أمن أهل القـرى أن يـأتيهم بأسـنا ضحى وهم يلعبـون . أفـأمنوا مكر الله فلا يـأمن مكر الله إلا القـوم الخاسـرون . أو لم يهد للـذين يرثـون الأرض من بعد أهلها أن لو نشـاء أصـبناهم بـذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسـمعون)) (سـورة الأعـراف 96-100)

((وأن لو اســتقاموا على الطريقة لأســقيناهم مــاءً غــدقاً لنفتنهم فيه ومن يعــرض عن ذكر ربه يســلكه عذاباً صعداً)) (سورة الجن 16-17)
((ولولا أن يكون الناس أمة واحــدةً لجعلنا لمن يكفر بــالرحمن لــبيوتهم ســقفاً من فضــةٍ ومعــارج عليها يظهــرون . ولــبيوتهم أبوابــاً وســرراً عليها يتكئــون . وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحيــاة الــدنيا والآخــرة عند ربك للمتقين)) (سورة الزخرف 33-35) .

3. الاختلاف والتناحر :

إن من أنكى العقوبات التي تنــزل بــالمجتمع المهمل للأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر أن يتحــول ذلك المجتمع إلى فــرقٍ وشــيع تتنازعها الأهــواء، فيقع الاختلاف والتنــاحر ((قل هو القــادر على أن يبعث عليكم عــــذاباً من فــــوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض)) (ســورة الانعــام 65) وذلك التنــاحر يجعل المجتمع عرضة للانهيــار والانهزام أمام العدو الخارجي المتربص .
ولا يحمي المجتمع من التفــرق والاختلاف إلا شــريعة الله ، لأنها تجمع الناس ، وتحكم الأهواء، أما إذا ابتعد الناس عن شريعة الله – تعالى – أصبح كل امرئ يتبع هواه , وأهواء الناس لا يضبطها ضابط .
وإن ما يدل على ارتباط التفرق والتناحر بــترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الله عز وجل قــال : ((ولتكن منكم أمة يـــدعون إلى الخـــير ويـــأمرون يالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحــون)) (ســورة آل عمــران 104) ثم قــال بعد ذلك مباشــرةً ((ولا تكونــوا كالــذين تفرقــوا واختلفــوا من بعد ما جــاءهم البينات)) (ســورة آل عمــران 105) والمتأمل في حال عــددٍ من البلاد الإســلامية يجد أن من أهم أســباب تفــرق المجتمع فيها أنهم أهملــوا الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر ؛ فترتب على ذلك شيوع الفساد وظهوره وســيطرته ، بشــتى صــوره وأنواعه ما بين عــري ، وســكر ، وحفل غنــائي ، وســهرة راقصــةٍ ، وعــرض مسرحي ، وغير ذلك .
وهذا الفساد يغيظ الصالحين ، فيغارون على حرمات الله فيحاولون تغيير المنكر ، فلا يجدون قناة شرعية

تمكنهم من تغيير المنكر ، فيضطرون إلى أساليبت مندفعةٍ تجعل المجتمع أطرافاً متصارعةً متناحرةً .
ونماذج ذلك في المجتمعات الإسلامية غير قليلةٍ فمن ذلك ما نشرته بعض الصحف من أخبار منذ عدة سنوات عن إندونيسيا التي يشيع فيها كثير من المنكرات – شأن كثير من البلاد الإسلامية – تقول هذه الأخبار أن هناك مجموعة من الناس غير معروفة تتصيد المجرمين خفيةً وتقضي عليهم ، أي إذا وجدوا إنساناً يقوم – مثلاً – على بيت دعارة أو على أي منكر علني فإنهم يقتلونه ولا تعجب من مثل هذا في بلادٍ يسكنها نحو مائةٍ وخمسين مليوناً من المسلمين وتكون عطلتهم الرسمية يوم الأحد .
ومن ذلك ما يجري من بعض الغيورين في مصر – مثلاً – من إنكار بعض المنكرات بصورة حماسية ، فقد أعلن مثلاً في جامعة أسيوط عن حفلٍ غنائي مختلطٍ ، فقام عدد من الطلاب ضد هذا المنكر ، ودخلوا مكان الحفل بالقوة ، وحطموا الآت الفسق ، ومنعوا إقامة الحفل في تلك الليلة .
وغير أولئك المتحمسين المندفعين ينظر إلى ذلك التصرف على أنه شغب وإخلال بالأمن .
ولو وجد أولئك الغيورون سبيلاً شرعياً للإنكار لم يلجأ أحد منهم إلى مثل هذه الطرق ، ولكن سدت أمامهم المنافذ الصحيحة وأوصدت دونهم الأبواب ، فركبوا تلك المراكب الصعبة وهم يقولون :
إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً
فما حيلة المضطر إلا ركوبها
وقد كانوا – لا شك – عن ذلك في سعةٍ ولهم عنه مندوحة . ومن صور التفرق والتمزق التي تحدث في المجتمع بسبب ترك هذه الشريعة أن تتفشى بين الناس منكرات القلوب من الغل والحقد والحسد والبغضاء والتناحر وما يترتب على اختلاف القلوب من اختلاف التوجيهات والآراء والأعمال والأقوال بحيث إن المجتمع يهدم بعضه بعضاً ويدمر نفسه بيديه .
فهذه من أعظم المنكرات التي يجب إنكارها والتحذير منها ، وسكوت العالمين والمعلمين عنها سبب في انتشارها ورسوخها وصعوبة الخلاص منها .

ثم إن المنكر إنما صـار منكـراً ، ونهى الله – تعـالى – عنه لما فيه من الخبث والضـــــــرر العاجل والآجل ، فالمعاصي وبـال على الأفـراد والمجتمعـات وسـبب لتمزقها وتشـــتتها .. ثم انهيارها وزوالها ، فـــالنهي عنها سـياج حماية الأمة من آفـات الضـعف والتخلخل والضـــياع , والســـكوت عليها دليل أكيد على غيـــاب معايير النقد الصـحيح والتوجيه البنـاء وهو تواطؤ آثم مع القوى الشريرة التي تريد بالأمة سوءً ا ، وتسـعى لهدم قلاع الخير والفضيلة والصلاح .

فمعاصي الـــبيع والشـــراء من النجش والغش وبيع المعدوم والمجهـول وسـائر أنـواع الـبيوع المحرمة ، والمعاملات المنكـرة لها من الأثر الكبـير في تشـتيت القلوب وتدابرها وتباغضها ما لا ينكره ذو عقل .

وما يقال فيها يقال في سائر أنواع المعاصي .

والسكوت على هذه المنكـرات هو نـوع من الرضا بها وإقرارها .

4. تسليط الأعداء :

فإن الله – جل وعلا – قد يبتلي المجتمع التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن يسلط عليهم عدوا خارجيـــاً ، فيـــوذيهم ، ويســتبيح بيضــتهم ، وقد يأخذ بعض ما في أيديهم وقد يتحكم في رقابهم وأموالهم .

وقد مني المسـلمون في تـاريخهم بنمـاذج من ذلك ، لعل منها ما وقع للمســـلمين في الأنـــدلس ، حيث تحولت عزتهم وقــوتهم ومنعتهم – لما شـاعت بينهم المنكــرات بلا نكــير – إلى ذل وهــوانٍ ســامهم إيــاه النصارى حتى صـار ملـوكهم وسـادتهم ينـادى عليهم في أسواق الرقيق وهم يبكـون وينوحـون ، كما قـال الشاعر:

فلو رأيت بكـــــــاهم عند بيعهم لهالك الوجد واستهوتك أحزان

تقول أم أحدهم – هو أبو عبدالله آخر ملوك الطوائف – تخاطب صاحب الملك المضاع :

ابك مثل النساء ملكاً مضــاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

وشبيه بذلك ما حدث في فلسطين من تسلط اليهـود على المسلمين ، وتنكيلهم بهم ، وطردهم لهم حـتى

صـارت فلسـطين أخت الأنـدلس ، وحـتى ذهبت كما قال الشاعر :

ياأخت أندلسٍ صبراً وتضـحيةً وطـول صبر على الأرزاء والنوب

ذهبت في لجة الأيـام ضـائعة ضـياع أندلس من قبل في الحقب

وطـوحت ببنيك الصـيد نازلة بمثلها أمة الإسلام لم تصب

5. عدم إجابة الدعاء :

الإنسـان يلجـأ إلى الله وحـده عنـدما يمسه الضر ، ويدعوه سبحانه أن يكشف عنه السوء حتى المشـرك يفعل ذلك : ((ثم إذا مسـكم الضر فإليه تجـأرون)) (سورة النحل 53)
((وإذا مسكم الضر في الـبر والبحر ضل من تـدعون إلا إياه)) (سورة الإسراء 67)
[[والمسـلمون التـاركون لشـعيرة الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر عندما ينـزل بهم العقاب يتجهـون إلى الله – عز وجل – يدعونه ولكنه لا يسـتجيب لهم كما جاء في حديث حذيفة الذي ذكره أن النبي صـلى الله عليه وسلم قال ((والذي نفسي بيده، لتـأمرون بـالمعروف ولتنهـون عن المنكر ، أو ليبعثن الله عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه ، فلا يسـتجاب لكم)) (1) .
يا الله .. أو حقـاً يـدعو النـاس فلا يسـتجيب الله لهم ؟! الله الـذي يقـول ((وسـعت رحمـتي كل شيء)) (سـورة الأعـراف 156) الله الذي يقول ((وإذا سألك عبـادي عني فـإني قـريب أجيب دعـوة الـداع إذا دعـان)) ؟! (سورة البقرة 186) هل يمكن أن يحدث ذلك ؟!
صدق الله وصدق رسوله ، وما يمكن أن يكون ذلك إلا حقـاً وإنه لحق ترتجف له النفس فرقـاً ويقشـعر الوجـدان رعبـاً ومـاذا يبقى للنـاس إذن ؟ مـاذا يبقى لهم إذا أوصدت من دونهم رحمة الله ؟ولمن يلجـأون في هذا الكـون العـريض كله وقد أوصد البـاب الأكـبر الذي توصد بعده جميع الأبواب .. ويبقى الإنسان في العـراء ، العـراء الكامل الـذي لا يسـتره شـيء ، ولا يحميه شيء من لفحة الهاجرة وقسوة الزمهرير .

ألا إنه للهــول البشع الــذي يتحــامى الخيــال ذاته أن يتخيله ..
لأنه أفظع من أن يطيقه الخيال .
فهل كتب الله ذلك الهـــــول البشع على عبـــــاده – المسلمين – الذين يدعونه ويسألونه ويستنصرونه ؟.
نعم حين يكفـــون عن الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر ، ولو بأضعف الإيمان (2)]] .

6. الأزمات الاقتصادية :

قد تحل الأزمـات الاقتصـادية بـالمجتمع المفـرط في الأمر بـــــــالمعروف والنهي عن المنكر فتتلاطم به أمواج الفقر والضوائق ، ويذوق الويلات من الحرمان .
ولقد وصــلت الأزمــات ببعض المجتمعــات الإســلامية إلى حالٍ من الفقر يرثى لها حتى أصبح الفـرد يكـدح في سبيل الحصول على لقمة العيش فلا يجــدها مما قد يحوجه إلى ما في أيدي النصارى

---

(1) رواه الترمذي (2169) وأحمد في المسند 5/388.
(2) قبســات من الرســول ، محمد قطب ، ص 53 –ـ 54 ، ط الثانية 1962 م .

المتربصــين الــذين يســخرون طاقــاتهم لتنصــير المســلمين ؛ فيــؤدي ذلك إلى وقــوع المســلم في التنصير والعياذ بالله خاصة أن انشغاله بلقمة العيش قد ينســيه كثــيراً من أمــور دينه ، مما يبعــده عنه ويهونه عليه .
وهكذا المنكرات ، سلســلة يجر بعضــها بعضــاً إلى أن تهوي بصاحبها .
وكما أن هنـــاك من يفسر ما يحل بالمجتمعـــات من الحروب والأحداث المؤلمة تفسيراً مادياً بحتــاً كـذلك هنـاك من يفسر الأزمـات الاقتصـادية تفسـيراً ماديـاً بحتاً ، والمـؤمن الـذي يعي سـنن الله يـدرك أن وراء السـبب المـادي سـبباً شـرعياً حـدث في المجتمع ، فاســتحق ما جــرت به ســنة الله من معاقبة المجتمع الذي يظهر فيه الخبث بلا نكير .
كما أن هناك من تسفك أعراضهم على مـذبح الرذيلة وتـداس كـرامتهم جريـاً وراء الـدرهم والـدينار .. إن

كثــيراً من الجــرائم وأمــاكن البغــاء تتفشى في تلك الأحياء الشعبية الـتي يشـيع فيها الفقر وينتشر فيها العوز والفاقة .
ولعل من أجلى الصـــــور وأوضـــــحها في الـــــدمار الاقتصــادي الــذي يلحق المجتمعــات بســبب إهمــال النهي عن المنكر : السـكوت عن الربا وما يجـره من تفاقم في المستويات المعيشـية والاقتصـادية فيزيد الفقير فقراً إلى فقـره ، ويزيد الغـني ثـراًء فيصــبح المــال دولــةً بين الأغنيــاء ، وتســير الأمة إلى هاوية الدمار البعيد .
وها هي ذي مراكز الدراســـات الغربية تتحـــدث عن مصير أسود ينتظر الرأسـمالية خلال عقـدٍ أو عقـدين من الزمان ، كذلك المصير الذي آلت إليه الشيوعية !
((فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلــوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين)) (سـورة يـونس 102)

7. تـــــرك الأمر بـــــالمعروف والنهي عن المنكر :

يوجب الوقوع في الشهوات والإغراق فيها وهـذا من شــأنه أن يجعل النــاس مــرتبطين بالــدنيا , أصــحاب نفوس ضعيفة غير جادين .
فالشــباب الــذي ليس له هم إلا أغنية ماجنة ، أومجلة خليعة ، أو شـــريط مـــرئي هابـــط، أومكالمة هاتفية شــهوانية ، أو سـفر إلى بلاد الإباحية والتحلل ، هــذا الشاب الذي أصبحت حياته كلها شـهوة هل يسـتطيع أن ينعتق من إســار الــدنيا ، ويجد في تحصــيل العلم النافع ؟!
هل يستطيع أن يحمل السلاح ليدافع عن نفسه وعن أمته ؟!
لا ريب أنه لا يطيق ذلك ، لأنه تعـــود على الارتبــــاط بالــدنيا ، والركــون إلى الشــهوة ،ولم يــألف الجدية والحزم .
وإنك لتجد مصـداق ذلك عنـدما تتأمل في واقع كثـير من الشــباب المبتعـثين إلى البلاد الغربية مثلاً حيث تــرى الشــاب المتــدين المســتقيم منهم جــادا في تحصــــــيله العلمي لأنه يحمل هم أمته , لأنه لم يبعد الشهوة ، ولم يرسف في أغلال الدنيا الدنية .

أما الشاب الشـهواني المنحـرف فإنك تـراه منغمسـاً في شهواته ورغباته ، غـير جـاد في تحصـيله العلمي تافه الاهتمامات ؛ لانه لا يحمل إلا هم هواه فتخسره الأمة ويكون وبالاً عليها .
وهذه الحقيقة أدركها كل البشر حتى الوثنيون منهم فـإن اليابــان – مثلاً – لما بعثت أول بعثـةً من أبنائها للتعليم في بلاد الغـــــرب ورجع أولئك المبتعثـــــون متحللين من مبـادئهم ذائـبين في الشخصـية الغربية منغمســـــين في الشـــــهوات الفردية لم يكن من اليابــانيين إلا أن أحرقــوهم جميعــاً على مــرأى من الناس ليكونوا عبرةً لغـيرهم ثم ابتعثـوا بعثة أخـرى ، وأرســلوا معهم مراقبــاً كــان يقــدم عنهم تقــارير متواصلة تـبين جـديتهم ومحـافظتهم على تقاليـدهم الوثنية وغيرها . هكذا أدركوا أن صرعى الشــهوات لا يمكن أن يكونوا جادين في يوم من الأيام .
وفي مجتمعـــات المســـلمين لا شك أن تـــرك الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر هو سـبب غـرق أبنـاء المجتمع في الملـذات والأهـواء الـتي تقعد بهم عن معالي الأمور .

8. الإهمال في أخذ العدة :

سواء كانت عدة معنوية بقوة القلـوب وشـجاعتها، أو عـــدة مادية محسوسة تجهز لمقاومة الأعــداء فـــإن الاستعداد لا يتقنه ولا يلتفت إليه إلا أصـحاب الهمم ، المعرضــون عن السفاسف . أما صــرعى الشــهوات فليسـوا أهلاً لـذلك ، بل إن مجـرد الكلام عن الحـرب يرعبهم ، فضلاً عن خوض المعارك وركوب الأهوال .

9. هناك عقوبة جداً خطيرة وهي أن الأمة بدأ مسـارها في عـدد من البلاد الإسـلامية

يتغـير . ذلك أن المنـافقين المفسـدين لم يكتفـوا بإشاعة المنكرات بل مضوا يخططون لسلخ الأمة عن دينها جملـةً حـتى تتحـول إلى أمة علمانية لا دين لها وتقبل أن تحكم بـــأي شـــريعة وأن يشـــيع فيها أي انحراف فكري أو خلقي .
وهـــذا التحـــول أخطر من ســـيطرة الكـــافرين والمنـافقين عسـكرياً على البلاد الإسـلامية والواقع يشهد لذلك ، فإنك لو تأملت لوجدت البلاد الإســلامية

التي أخذت من المسلمين بالقوة العسكرية محدودة كالأندلس التي أخذها النصارى قديماً ، وفلسطين التي سيطر عليها اليهود قهراً . هكذا تبقى قليلة محدودة ثم إن تأثيرها على مسار الأمة إيجابي ؛ لأن فيها إيقاظاً لها وتحريكاً لغيرتها وبعثاً لحميتها الدينية .

لكن لوتأملت في واقع كثير من البلاد الإسلامية التي كان يحكمها الإسلام ويشيع في أهلها المعروف ؛ لوجدتها اليوم بلاداً علمانية تحكمها نظم غير شريعة الله ، نظم تحمي الرذيلة وتحارب الفضيلة ، فتجد مثلاً في جامعاتها الاختلاط نظاماً محتماً وتجد محاربة الحجاب ووصف أهله بالرجعية والتخلف إلى غير ذلك من فنون الإغواء .

هكذا وقعت الأمة في براثن المنافقين ، فسعوا جاهدين لسلخها عن دينها بسبب غياب المصلحين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر عن الساحة ، أو ضعفهم في أداء رسالتهم .

والمجتمع ميدان لصراع الفئتين ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) (سورة التوبة 71) **((والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف))**(سورة التوبة 67) **فأي الفئتين غلبت، استطاعت أن تصبغ المجتمع بصبغتها .**

ولذلك كانت قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قضية مصيرية يترتب عليها احتفاظ الأمة بمسارها الإسلامي، ولهذا السبب كان الأمر بالمعروف النهي عن المنكر في العهود المتقدمة يحظى بأشد العناية من المسلمين أجمعين فقد كان كل مسلم يشعر أنه مطالب بذلك في كل مجال وعلى سائر المستويات فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في بيته ، وفي سوقه ، وفي مسجده ، وفي كل مكان ، لا يفرق في ذلك بين صغير وكبير ، ولا قريب أو بعيد ، ولا معروف أو مجهول ، ولا ذكر أو أنثى .

هكذا كانوا يشعرون أن ذلك الأمر دين يدينون الله به ، فلم يكلوه بأكمله إلى جهة معينة ويلقوا باللائمة عليها إذا رأو منكراً .

ومع ذلك كله عني المسلمون بنظام الحسبة الذي كان رجاله يقومون بمراقبة المجتمع عموماً في كل شيء ويسعون لإصلاح ومنع جميع أسباب أذاه , فيمنعون الباعة من الغش وينصفون الدائن من المدين وإذا رأوا مثلاً بيتاً آيلاً للسقوط عالجوا أمره بما يناسب وإذا وجدوا شارعاً ضيقاً قاموا على توسيعه وإذا رأوا نزاعاً فضوه إلى غير ذلك من المهمات .

إذن كانت مهمة رجال الحسبة مهمة شمولية , أصبحت اليوم موزعة على عدة جهاتٍ من أنظمة مرورية وبلدية وتجارية وغيرها إلى جانب مهمة السلوك والأخلاق وإيقاف الناس عند حدود الله .

وما كان هذا الاهتمام البالغ بنظام الحسبة الذي ظهر بوضوح في عهد عمر بن الخطاب إلا لإدراك الأمة تلك الشعيرة في مسارها .

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أجمع أهل العلم على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , فرض عين أو كفايةٍ .

فذهب ابن حزم رحمه الله إلى إنه فرض عين ، لحديث أبي سعيد مرفوعاً : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)) (1).

وعند جماهير أهل العلم أنه فرض كفاية ، وهذا هو الصحيح ؛ لقوله تعالى : ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) (سورة آل عمران 104) **فإذا قامت الأمة المذكورة في الآية – وهي الطائفة – بالمهمة سقطت عن الباقين ولكن يشترط أن تكون هذه الطائفة ممن تحقق بهم الكفاية في إقامة هذه الشعيرة .**

على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون فرض عينٍ في بعض الحالات .

إضـــافةٍ إلى أن الإنكـــار القلـــبي وكراهية المنكر والقــائمين به ، هو فــرض عين على الجميع باتفــاق العلماء ولا يعذر أحد بتركه لأنه ممكن لكل أحدٍ .
وهذه الحالات هي:

1 – إذا لم يعلم بالمنكر غير شخص معين ، فهو حينئـــذٍ مطــالب بالإنكــار وجوبــاً ، لأن الكفاية لاتقوم إلا به .

2 – إذا لم يستطع تغيـير المنكر إلا شـخص بعينه ، فمثلاً قد تشـيع بعض المنكـرات في وجهـاء المجتمع وأعيانه وكبرائه ، فلا يسـتطيع كل أحـدٍ من المســلمين أن ينكر عليهم ، فيتعين حينـــذٍ على من يستطيع الإنكار من ذوي المكانة العلمية والاجتماعية أن ينكر عليهم .

3 – يجب الأمر بـــــــالمعروف والنهي عن المنكر على من ولاه الله أمـــرا من أمـــور المسلمين ، بـدءً ا بالسـلاطين الـذين ائتمنهم الله تعـــالى على الأمة , فإنما شــــرع الإســـلام الولاية العظمى لتحقيق الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر ، وكل مصلحة تحتاجها الأمة فهي من المعروف وكل مفسـدة للأمة فهي من المنكر ، سـواء كـان ذلك في الأمور الدينية أو الدنيوية .

---

(1) رواه مسلم (49) .

ثم كل مســلم حسب ولايته ومســؤوليته ، فـــالوزير مسؤول عن رعيته ومدير الـدائرة الحكومية مسـؤول عن رعيته ومـــــدير المؤسسة مســـــؤول عن رعيته والمــدرس مســؤول عن رعيته والأب مســؤول عن أسـرته ورجل الحسـبة المكلف من قبل ولاة الأمـور مسؤول عن القيام بمهمته بقدر المستطاع .
وهكذا نجد أن كل فـردٍ في الأمة مطـالب بـأن يكـون قيماً على من ولاه أمـرهم ؛ من أدنى مسـؤوليةٍ إلى أعلى مسؤولية .

وها هنا قضية خطيرة لا بد من إثارتها وهي أن كثيراً من الناس اعتادوا أن يلقـوا بمسـؤولية إنكـار المنكر

على غـــيرهم ، فيلومون – مثلاً – العلمـــاء والأمـــراء لأنهم يســتطيعون تغيـير المنكر ، ويتنصـلون هم من المسـؤولية تماماً ولو اطلعت على بيت أحـدهم فقد تجد فيه عشرات المنكرات لم يغيرها وكأنه ينتظر أن يأتي العلماء إلى بيته ليغيروها , وهذه العادة خطـيرة وسيئة فإن كل فردٍ في المجتمع مسؤول عن إصـلاح ما يستطيع إصـلاحه لأنه جـزء من المجتمع يجب عليه القيام بمهمته ، كما يجب على العلمـاء وغـيرهم أداء مهمتهم ولو أن كل مســـلم قـــام بما عليه من الأمر بالمعروف النهي عن المنكر لصـلحت الأمة وأفلحت ، وظهر المعروف واختفى المنكر .
أما إذا ظلت تتـدافع القيـام بهـذا الـواجب ، فالعامة تلوم العلماء وتطالبهم بالإصـلاح ، والعلمـاء يلومـون العامة على خـــذلانهم لهم ، وكل فئـــةٍ في المجتمع تلقي بالمســـؤولية على غيرها فيظل المنكر قائمـــاً ممكناً إلى يوم يبعثون .

مراتب الانكار

بين الرسـول صـلى الله عليه وسـلم مـراتب الانكـار بقوله ((من رأى منكم منكراً فليغـيره بيـده فـإذا لم يستطع فبلسانه فإذا لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) (1) .
إذن فـــالمطلوب من المســـلم حين يـــرى المنكر أن يغيره بحسب المسـتطاع متـدرجاً في ذلك من أقـوى صور الإنكار إلى ما هو دونها .
أما من حيث الواقع العملي فالذي يحدث أولاً هو تأثر القلب ونفوره وإنكـاره للمنكر عنـدما يـراه ثم يرسل القلب الأوامر إلى اللسـان لينطق بإنكـار ذلك المنكر على من واقعه واقترافه .
فإن امتثل وأقلع عن منكره فهذا هو المراد وإلا كان الانتقال إلى التغيير باليد .

(1) رواه مسلم (49) وأبو داود (1140) والترمذي (2173) والنســائي 8/111 وابن ماجه (4013) .

إذن فـأول ما يحـدث هو التغيـير بـالقلب ثم التغيـير باللسان ثم التغيير باليد من حيث الواقع .

لكن المراد من المسلم هو أن يغير بيـده إن اسـتطاع , فإن عجز لجأ إلى التغيير باللسان ، فإن عجز كفــاه أن يغير بقلبه ، وذلك بأن يكره ذلك المنكر ويبغضه .
والإنكار بـالقلب فـرض عين على جميع المسـلمين ، وفي جميع الأحـوال لأن القلب لا سـلطان لأحـدٍ من النــاس عليه حــتى يســتطيع منع صــاحبه من مقت المنكر وكرهه .
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسـلم ((.. فـإن لم يستطيع فبقلبه وذلك } أي التغيير بالقلب{ أضـعف الإيمـان)) وفي حـديث ابن مسـعود : ((وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خرذل)) (1)
أي أن الـذي يـرى المنكر فلا يتحـرك قلبه ببغض ذلك المنكر والامتعــاض له ، ليس في قلبه إيمــان البتة ، فضــلاً عمن يــرى المنكر فيسر به ويفــرح له عيــاذاً بالله تعالى .
وها هنا أمر جـــدير بــــالوقوف عنــــده ، وهو (التلميح والتصـريح في الإنكـار) فـإن الاسـلام دعا إلى التـدرج في هـذا الأمر ، بحيث يكتفي المنكر بـالتلميح إن كـان التلميح مجـدياً ، فــإن لم يغن شــيئاً انتقل المنكر إلى التصريح .
فقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، يقـول عنـدما يرى منكراً ((ما بال أقـوام يفعلـون كـذا وكـذا؟)) (2) لأن هذا التلميح العام كان يكفي في كثـير من الأحيـان لــرد صــاحب المنكر عن منكــره لكنه صــلى الله عليه وســلم كـان إذا وجد أن الموقف يحتــاج إلى التصــريح فإنه يصرح ففي الصـحيحين عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـــال: أمر رســـول الله صـــلى الله عليه وســـلم بالصـدقة , فقيل : منع ابن جميل, فقـال النـبي صـلى الله عليه وســــلم ((ما ينقم ابن جميل إلا أنه كــــان فقـيراً فأغنـاه الله ورسـوله))(3) هكـذا صـرح النـبي صلى الله عليه وسلم ، بابن جميل ، لأنه أصر على منع الزكاة . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يصلي مرة بأصـحابه ، فلما انصـرف من صـلاته قـال ((يـافلان ألا تحسن صــلاتك ! ألا ينظر أحــدكم كيف يصــلي ! إني أراكم من وراء ظهري كما أراكم من أمامي))(4) .

والشواهد على سلوكه صلى الله عليه وسـلم ، مسـلك التلميح إذا أغنى والتصريح إذا دعت إليه الحاجة ؛ كثيرة ومشهورة .

---

(1) رواه مسلم (50)ـ (2) البخاري (5750) و (717)ـ (3) البخـاري(1399) ومسلم (983) (4) مسلم (423)

وعلى ذلك فـإن الـواجب على المسـلم إذا وجد إنسـاناً مجـاهراً بالفسـاد مثل الـذي يكتب المقـالات المضـللة والمؤلفـات الهدامة الـتي تحـارب الإسـلام وتطعن في أهل الاستقامة وتشـوه تـاريخ الأمة المجيد , أقـول إن الواجب على المسلم أن يعلن الإنكار عليه وأن يفضحه بين الناس .
على أن هذا الـترتيب في مـراتب الإنكـار ليس مطـرداً دائماً ، فثمة حالات يتطلب الأمر فيها المبادرة بالإنكـار باليد فـوراً دون انتظـار وليس من المعقـول أن يقف المسلم على رجلين مشتبكين في قتال ومضـاربةٍ ، ثم يقف ليلقى عليهما محاضرةً في حقـوق المسـلم على أخيه ، وحرمة دم المســلم وماله وعرضه ! بل بجب أن يتدخل فوراً لفك الخصومة بينهما متى كان ذلك ممكناً له .
وهكـذا لو وقف على فاحشـةٍ أو منكـرٍ يتطلب القيـام بتغييره بصفةٍ عملية مع القول أو بدونه .

قضية الانكار باليد

الإنكـار باليد هو المرتبة الأولى من مـراتب الإنكـار ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيـده ...)) . ويكـون التغيـير باليد بـإتلاف المنكر إما بإحراقه أو هدمه أوغـير ذلك, والأصل أن الانكار باليد مهمة الجهة التي فوض إليها ذلك , لكن هــذه الجهة لا توجد أصــلاً في كثــير من البلاد وقد توجد ولكنها لا تقــوم بعملها ومســؤليتها وحينئــذٍ يجــوز الإنكـار باليد للأفــراد المصـلحين في

المجتمع كما صـــرح بـــذلك أهل العلم , ولكن بأربعة شروط :

أحـدها: ما سـبق ذكـره : فقـدان السـلطة والجهة المسؤولة التي يفوض إليها القيام بالإنكار باليد.

ثانيها: ظهور المصلحة الراجحة على المفسدة ، أما إذا ظهر للمنكر أن الإنكار باليد قد يؤدي إلى مفسدة أكـبر ، مثل التضـييق على المصـلحين الغيـورين أو انتشار المنكر واتسـاع دائرته ففي هـذه الحـال يمنع الإنكار باليد .

ثالثها: أن يتعذر ذلك المنكر بغـير اليد أي أن المنكِـر حـاول التغيـير بلسـانه فلم يسـتطع فله حينـذاك أن يغير بيده .

رابعها: وهو شـرط مهم مراجعة العلمـاء في ذلك ، فــإن بعض الشــباب – بما أعطــاهم الله من الحيوية والغيرة والتوقد والقوة - إذا رأى منكراً فار الدم في عروقه ولجأ إلى التغيــير بيــده بــدون أن يراجع أهل العلم العـاملين الـذين يعـرف عنهم أنهم بلا ريب مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة والصلاح .

ومراجعة أولئك العلماء تنطوي على مصالح عديدة .

المصلحة الأولى : التيقن من أن نفع هذا الإنكار أكــبر من ضــرره . ذلك أن نظر الغيــور المنفعل قد يكون قاصراً ، لكن العالم قد يكون أبعد نظراً .

المصلحة الثانية : أن الـذي ينكر باليد قد يتعـرض لأذى في نفسه أو أهله أو وظيفته ، أو نحو ذلك فيحتاج حينئذٍ إلى وقـوف أهل العلم معه ، فـإذا كـان يصدر عنهم فهذا يضمن له مساندتهم له .

المصــلحة الثالثة : أن هـــذا يـــدعم أهل العلم ويقـــوي مكـــانتهم ويضـــاعف تـــأثيرهم في تغيـــير المنكرات فإن من أهم دعائم إنكـار المنكـرات وجـود العالم الـذي يلتف النـاس حوله فيكسب بـذلك منــعة وقـــوة تمكنه من الإنكـــار وتجعل كلمته مســـموعة وصوته موثراً .

فـإذا تـوافرت هـذه الشـروط وحـرص الأفـراد على مراعـــاة هـــذا الفقه آتى الإنكـــار باليد ثمـــاره ، مع السلامة من المحاذير والسلبيات .
أما التعجل والاســـتجابة لانفعـــالات النفس غـــير المنضبطة والانـدفاع وراء العواطف المجـردة لا يثمر إلا الفشل للمهمة العامة التي نذر المصلح نفسه لها إضافةً إلى الفشل الفردي للشـخص ذاته بـأن يـؤول أمـــره غالبـــاً إلى نـــوع من القنـــوط أو الإحبـــاط أو الاستيئاس وترك العمل والله المستعان .

وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الوســـائل كثـــيرة لا تنحصر في مجـــال أو نمط معين ومـتى ما كـان في قلب المـرء اهتمـام بـأمر الـدين وحرقة للإسلام وحرص على مستوى الأمة فـإن هـذا الشعور يدفعه إلى ابتكار وسائل مختلفة يستعين بها على إقامة هـــــذه الشـــــعيرة وقد قيل (الحاجة أم الاختراع).

لكن هـــذه الوســـائل يجب أن يتحقق فيها شرطان :

1 – أن تكـــون مباحة ، فلا يجـــوز أن يســـتخدم المنكِـــرُ وســـيلة محرمة ليزيل بها المنكر ، فـــإن النجاسة لا تغسل بالنجاسة .

2 – أن تـــؤدي المقصـــود ، بحيث يتم بها إزالة المنكر ، وتحقيق المعـروف وعلى ذلك فـإذا كـانت الوسيلة غير مجدية فلا داعي لاستخدامها فـإذا جـزم بأنها تـؤدي الغـرض أو غلب على ظنه ذلك كـان عليه أن يتوسل بها إلى تحقيق المقصود .

*** ومن أبـــرز أمثلة الوســـائل الـــتي ينبغي استعمالها في مجال الأمر والنهي :**

1. الكلمة الهادفة :

سواء كانت تلك الكلمة محاضرة أو درساً أو خطبـةً أو موعظةً بعد الصلاة أو ما شـابه ذلك فمجـالات الكلمة

واسعة جدا . وها هنا أمر جـدير وهو أسـلوب الكلمة , إذ لا بد أن يكون مناسباً فيراعي مثلاً ألا تكون الكلمة ضـــربةً في وجه صـــاحب المنكر تصـــفعه بها دون مقدمات ولا تمهيدات .

خذ على سبيل المثال : المنكرات الظاهرة المنتشـرة بين الناس كالتدخين وإسـبال الثيـاب وحلق اللحى ... الخ .

إن هجوم الإنسان على مراده مباشـرة قد يـؤدي إلى نتيجة عكسية وقد يخرج الناس من جراء ذلك بانطباع لا يخدم قضية الأمر بالمعروف النهي عن المنكر .

لكن لو أنك بــدأت حــديثك بقضــية أكــبر من هــذه ؛ بقضـية التشـبه بالمشـركين ونهي الإسـلام عن ذلك وعظم خطورته على دين المـــــرء وذكـــــرت الأدلة الشـرعية والأمثلة الواقعية لـذلك وسـقت طرفـاً من كلام المــؤرخين ، ومن كلام البــاحثين المعاصــرين وتــدرجت في عـرض القضـية حـتى تصل إلى ضـرب بعض الأمثلة للتشــبه بالمشــركين من الواقع وتــأتي بقضية حلق اللحية مثالاً لذلك وتدعم كلامك عنها بما ورد من نصوص في الأمر بإعفاء اللحى كقوله صـلى الله عليه وسلم ((وفـروا اللحى)) (1) ومضـيت في بسط القضــية وعرضــها على هذه الشــاكلة فإنك إن وفقت في ذلك العـــرض اللبق فـــإن الحاضـــرين المســتمعين إليك وإن كــانوا حليقي اللحى فســوف يتقبلون النصيحة وتدخل قوبهم .

---

(1) رواه البخاري (5553) ومسلم (259) .

وقد وقع لي مرة أن زرت مدرسة في إحـدى منـاطق هـــذه المملكة ، فـــرأيت في المدرسة كثـــيراً من المنكـرات ، فـآليت على نفسي أن أقـول شـيئاً عن ذلك ، وفعلاً تحـــدثت إليهم فبـــدأت بكلامٍ عـــام عن الشباب ومشكلاتهم ، وخطط الأعداء الغربين للقضاء على الشباب حتى ارتاح الحاضـرون إلى هـذا الكلام ، وأحســـــوا أنه كلام يحتـــــاجون إلى مثله وربما لم يسمعوه قبلاً لأن المنطقة نائية .

بعد هذا تكلمت عن الاعتزاز بالإسلام وأن المسلم هو الأعلى في عقيدته وسلوكه ومنهجه وتاريخه ، وذكرت أن المسلم العزيز العالي لا يقلد الكافر النازل كما أن الكبير لا يقلد الصغير والمدرس لا يقلد الطالب وإنما الذي يحدث هو عكس ذلك ، فالصغير يقلد الكبير والطالب يقلد أستاذه والمغلوب يقلد المنتصر .

ثم انتقلت إلى الحديث عن التشبه بالمشركين ، وما ورد فيه من نصوص ، ثم أدخلت كل المنكرات التي رأيتها في المدرسة في باب التشبه وتحدثت عنها .

فلما انتهيت خرج معي أحد المدرسين ، وحدثني قائلاً : جزاك الله خيراً, إنك أنكرت علينا ولم نجد في نفوسنا من هذا الإنكار شيئاً ، لكن فلاناً من الناس – ذكر شخصاً – على الرغم من صغر سنه وقلة خبرته يصعد المنبر ويتكلم بكلمات مبتذلةٍ عن بعض هذه المنكرات ، تكون سبباً في نفور الناس وعزوفهم عن المتحدث وخطبته ، وربما أدى إلى إصرارهم على ما هم عليه واستمرائهم لما يفعلون .

وقد يستفتح المتحدث كلمته بمقدمةٍ عن المقاصد العامة للشريعة وحفظها للدين وللنفس والعرض والمال والنسب والعقل ليسترسل بعد ذلك في أمثلةٍ معنيةٍ مقصودةٍ مما حرمه الإسلام ، رعاية لهذه الضرورات المحفوظة المصونة ليكون الكلام أجزل وأمتن وأوقع في النفس ، وأدعى للقبول .

هذا إلى أن الداعي ليس يسوغ له أن يجعل كل حديثه نقداً وتخطئةً لا يرى فيهم حسنةً تستحق الإشادة ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، للأشج ، أشج عبدالقيس : ((إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة)) (1) .

---

(1) رواه مسلم (18)

وأثنى عليه الصلاة والسلام على جماعات من أصحابه كخالد بن الوليد ، عبدالرحمن بن عوفٍ ، وطلحة

وسواهم كثير فالثناء على الإنسان – فرداً أو جماعــةً – بما هو فيه لغرض شرعي صحيح أمر لا غبار عليه .
فلا بأس أن يزين الداعية نصحه بثناءٍ جميـلٍ مقتــصدٍ على حسناتٍ لدى المنصـوح – فـرداً أوجماعة - يكـون في ضــمنها دعــوة له إلى نشــدان الكمــال البشــري الممكن له .
ولا بـــأس أن يتعاهــدهم بالنصح بين حين وآخر ، لئلا يملوا ويسـأموا ، ولا يحشد لهم كل ما ينتقـده عليهم في قعدةٍ واحدةٍ !.

2. الكتاب والكتيب :

وذلك بالكتابة والتأليف في إنكار شيءٍ من المنكرات ، أو بالإســــــــهام في توزيع ما كتب في ذلك فكل بحسب طاقته : فإن كنت طالب علم تستطيع الكتابة في موضــوع ما ، فــاكتب وأنكر المنكر وبين للنــاس الخير من الشـر، واسع في طباعة ما كتبت ونشـره .
وإن لم تســتطع ذلك فأســهم في توزيع الكتــاب عن طريق بذل المال . فإن لم يكن عندك مال ، فشــارك في عملية الكتــاب بجهـدك البــدني في المؤسســات والمدارس والمساجد والدوائر وغيرها .
وهكذا يقوم كل شخص بمسـئوليته في هـذا المجـال بحسب قدراته وإمكاناته ، ولو كل مسـلم غيـور قـام بواجبه – أو بعضه - لكــــان معــــنى ذلك أن الـــدعاة يملكون أعظم مؤسسات التوزيع في العالم , ولكانت الدعوة الإسلامية تملك من المراسلين جموعاً غفيرةً لا تملكها دعوة أخرى في الدنيا كلها .

3. النشرة الصغيرة :

وهي تســمى المطوية ، وتتكــون من بضع صــفحات تعالج موضوعاً معينـاً ومن ميزاتها أن من السـهل أن يقرأها المــرء على عجالــةٍ فحسن أن يســتفيد الـذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من هذه الوسـيلة ، ويشارك في توزيعها ونشرها لتوعية الناس .

4. الشريط :

ســواء بإعــداد شــريطٍ يحتــوي على معالجــةٍ لبعض المنكـــرات أو بالإســـهام في نشر هـــذا النـــوع من الأشرطة بقدر الإمكان ، خاصة أن أكثر البيوت اليـوم – بل كلها – لا تخلو من أجهــــزة تســـــجيل كما أن

بإمكان المصلح أن ينسخ من الشريط نسـخاً عديـدة ، ويوزعها ليستفيد النـاس مما فيها من الخـير ، وأقل ذلك أن يدفع الشريط بعد اسـتماعه إلى آخر يسـمعه ويستفيد منه ، إن طالب المدرسة الابتدائية يستطيع أن يـــوفر من قيمة الشـــاي يشـــتريه من المقصف المدرسي ما يشتري به كتيباً أو شريط في الشهر أو في الأسبوع .

5. الجريدة :

الجريدة واسعة الانتشار ، فقد يطبع من بعضـها مائة ألف نسخة ، أو مائتا ألفٍ ، في اليـوم الواحد فينبغي الكتابة فيها لإنكـــار بعض المنكـــرات خاصة إذا كـــان المنكر قد انتشر في الجريـدة نفسـها ، فلا يكفي أن تذكر أن هذا منكر في مجلس يحتوي على فئةٍ قليلــةٍ من الناس ، والجريدة قد قرأها مائة ألف أو يزيدون ، وإنما عليك أن تكتب مقالـــةً وتـــراعي فيها قواعد النشر ، وتبعث بها إلى الجريـدة لكي تنشر ويسـتفيد منها أكبر عددٍ من الناس .

6. الهاتف :

فبالإمكان أن تتصل بصاحب المنكر وتأمره بالمعروف وتنهـــاه عن المنكر ، أو تتصل بمن يســـتطيع تغيـــير المنكر ؛ من علماء ومسؤولين ، ووجهاء .

أرأيت حين تعلن جهة عن عمل لا يرضي الله ، فتنهال عليها الاتصـالات الهاتفية من أطـراف شـتى ألا يكون ذلك موثراً في دفع المنكر !

أذكر أنـني اتصـلت بمؤسسة أعلنت عن حفل مختلط في إحــدى الــدول المجــاورة ، فعــرفت المســؤول بنفسي ، ومكـــــان اتصـــــالي ، وكلمته عن الإعلان المذكور ، فاعتذر ، وقال إن هذا الإعلان نزل بطريق الخطأ ، وقد أعلنا في الجريدة في اليوم التالي نقداً لهـــــذا الإعلان ربما لم يتسن لك الاطلاع عليه ، وإن الناس قد اتصلوا بنا من كل مكان ، حتى كبار العلماء والمشـايخ اتصـلوا واسـتنكروا الأمـر، وقد بلغنـاهم بحقيقة الأمر ، ونحن نشكركم ... ألخ

والشاهد من ذلك أننا حين نتصل على صاحب منكـرٍ ، فإننا بذلك نفهم الناس ماذا يريد المجتمع .

والهـاتف – من خلال التجربة – وسـيلة فعالة جـداً ، ومـوثرة في هـذا المجـال على أنها لا تكلف جهـداً أوعناءً فكل ما في الأمر مبلغ من المـال مقابل هـذه المكالمة يكـون في سـبيل الله ولا يضـيع ، وبمجـرد رفع السـماعة وإدارة قـرص الهـاتف تجد أنك إنسـان إيجابي ومؤثر .

7. الرسالة الشخصية :

وما أبلغ أثر الرسـالة الشخصـية على قارئها مـتى كتبت بأسـلوبٍ لبـقٍ مهـذب يخـاطب مكـامن العاطفة في النفس البشرية .

إنها حـــديث مباشر هـــادىء ، يعطي الآخر فرصة التفكير والمراجعة والتصحيح ، وهو بعيد عن الكلمات الـتي قد يـزل بها اللسـان من دون قصـدٍ ، إذا إن الكتابة تمنح الـــداعي فرصة التفكـــير فيما يكتب ويسطر .

وحتى لو خاطبت قطاعاً عريضـاً من النـاس ، طباعة الأغـاني ، أو متعـاطي الربا ، أو مـروجي الأفلام الهابطة ، أو أصـحاب المحلات التجارية ، أو أي طبقة من طبقات المجتمع .

ولو خـــاطبتهم برســالة مطبوعة على جهـــاز ((الكمـبيوتر)) تسـجل على كل نسـخة اسم المحل الدي توجه إليه لكان لها وقع خـاص مـوثر، أعظم من وقع الكتـاب والشـريط الـذي لا يخـاطب المعـني مباشرة .

8 - مقاطعة صاحب المنكر :

بحيث يتم الامتنـاع عن معاملة المكـان أو المؤسسة التي يوجد فيها المنكر .

فـبيوت الربا الـتي تجـاهر بحـرب الله تعـالى وحـرب رسوله صلى الله عليه وسلم ((يا أيها الـذين آمنو اتقو الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمـنين فـإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله)) (سورة البقرة 278 – 279) هذه الـبيوت من أين شـبت وترعـرعت وقـويت ؟! اليس من أموال المسلمين !!

والمجلة الماجنة ، ما الذي ضمن لها الاستمرار والرواج والـثراء ، حـتى أصـبحت لا تخـرج إلا في ورق صـقيل وطباعة فاخرة ؟! أليس أموال المسلمين !!

وكل مؤسسـات الفسـاد والانحـراف والرذيلة إنما كفل لها الذيوع والبقاء إقبال الناس عليها وعلى ما تبثه من سموم ودعمهم لها بـأموالهم ، من حيث يشـعرون أو لا يشعرون .
ولو أن المسـلمين قاطعوها , لانتهت تلقائيـاً ولوئـدت في مهـدها . لكن الواقع المر أن أحد المسـلمين أجَّرَها مقـــرا ، والآخر توظف فيها ، والثــــالث تعامل معها والرابع دعا إليها .. وهكــذا حــتى صــار المجتمع – من حيث يشعر أو لا يشعر – ينفخ روح الحيوية والقــوة في مثل هذه المؤسسـات، ثم يعـود النـاس يمتعضـون منها ويستاؤون ، ولا نقول لهم إلا (يداك أوكتا وفوك نفخ) .
على ســبيل المثــال لو أن أحــدنا دخل على صــاحب تموينات يبيع الـدخان والمجلات الفاسـدة فقـال له : يا أخي لماذا تبيع هذه المحرمات ؟ فســيقول لو لم أبعها لما عاملني الزبائن . فليرد عليه قائلاً : وهل أنا إلا من الزبائن ، إني سـأقاطع تموينـاتكم إلا أن تطهروها من هذه المحرمـات . ثم يـأتي ثـانٍ وثـالث ورابع .. ويكـون لهم الموقف نفسه ، وبعد ذلكً ســتجد أن الرجل أخلى محله من تلك المنكرات ، فـإذا جـاءه شـخص يبحث عن شـيءٍ منها ، قـال له : إن الزبـائن رفضـوا أن يشـتروا مني وعندي هذه الأشياء .
وهكــذا تــؤدي هــذه الوســيلة مفعولها إذا تعــاون أهل الخير ، وأثبتوا وجودهم خاصة أن النـاس لا يـزال فيهم خير كثير ؛ مما يجعل إمكان استجابتهم كبيراً بإذن الله تعالى .

9. التشهير :

إذا لزم الأمر ودعا الموقف إلى اللجـوء إلى التشـهير بالمنكر وصاحبه فلا بأس ، كما تقدم معنا ذكر تصريح الرسول صـلى الله عليه وسـلم باسم ابن جميل وما فعل من منكر .
والتشــهير يأخذ صــوراً شــتى ، فليس بالضــرورة أن يكـون التشـهير إعلانـاً على المنـبر ، بل له أسـاليب مختلفة ، ولنضرب لذلك مثلين ، أحـدهما من القـديم والآخر من الحديث .

المثال الأول :

كان لأحد المـترفين في بغـداد بيت تعلو منه أصـوات الغناء والطرب والمزامير واللهو ، فطـرق عليه بعض الصالحين الباب ، فلم يستجب ، وحـاولوا ثانية وثالثة ، فلم يسـتجيب لهم . وكـان في بغـداد قـاريء بكـاء مـؤثر حسن الصـوت ، فجـاء في أحد الأيـام – وكـان النـاس مـزدحمين في الشـوارع - فجلس على عتبة هـذا الـبيت الـذي تعلو منه أصـوات المنكـرات ، وأخذ بصوته العذب الجهوري يرتل القرآن ، فاجتمع الناس إليه ، وامتلأ الشـارع بهم ، وعلت أصـواتهم بالبكـاء والنشيج ،حتى سـمعهم الـذين بـداخل الـدار ، فخـرج صـاحبها وأخـرج معه الطبـول وسـائر آلات اللهو ، وسلمها للشيخ ليكسرها بيديه .
وعلى هذه الشـاكلة اسـتطاع هـذا القـارىء أن يغـير المنكر عن طريق التشهير ، بـدون أن يتكلف وبـدون أن يجافي الحكمة .

المثال الثاني :

ما فعله بعض الـدعاة المعاصـرين ، حين علم عن إقـامة حفل غنائي فيه لهو وطـرب ومنكـرات، وعجز عن إيقـاف ذلك المنكر ، فما كـان منه إلا أن أخـبر الصـالحين ، بأنه سـوف يقيم محاضـرةً في مكـان مجـاور لمكـان المنكر ، وفعلاً أقـام المحاضـرة وأخذ يتكلم بكلام مـؤثر جيد ، فانسـحب النـاس من مكـان الحفل إلى المحاضرة ، وأوقف الحفل الغنائي .
وهكـذا أوصد البـاب في وجه المنكر وأهله بطريقـةٍ هادئةٍ لا مأخذ فيها على المصلح .
إن هذه الوسائل ليست سوى أمثلة أو نماذج لوسائل أخـرى كثـيرة يمكن أن يبتكرها الغيـورون لإزالة المنكـرات وتغييرها وحماية المجتمع منها ، وسـيجد المصلح أمامه مجالاً رحباً للتفكير في تجديد الوسائل وتنويعها مـتى كـان جـاداً منفعلاً لقضـية الإسـلام ، متحليـاً بـالعلم الصـحيح الـذي يفتح أمامه آفـاق المجهول .

من الذي يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

لا شك أن جمهــور الأمة إذا رأوا المنكــرات غضــبوا وغاروا وفار الدم في عروقهم ، فإن وجدوا المجــال الطــبيعي للإنكــار ؛ اكتفــوا به ولم يزيــدوا عليه . والمجال الطبيعي في نظري أحد قناتين .

القناة الأولى : الجهـات الرسـمية المسـئولة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

القنـاة الثانية : أن يسـير النـاس – إذا لم يجـدوا القنـاة الأولى – خلف العلمـاء الـذين يتحملـون مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فإذا لم يجد الناس إحدى هاتين القناتين فإنهم حينئذٍ يعتمدون على اجتهـادهم ، والاجتهـاد قد يصـيب وقد يخطىء ، وهم معــــــذورون في ذلك ، لأن كف اليد والسـكوت عن المنكر بالكلية أمر ينـافي طبيعة هـذه الأمة المجاهدة ، ويصادم المبادىء الـتي تنطلق منها في حياتها ، وضرره قد يكون أحياناً أعظم من الضرر الناجم عن الإنكار غير المتأني الـذي يحـدث من عامة الناس حين لا يجدون القناة السليمة الملائمة للإنكـار والتغيير .

وأكــثر النــاس يشــعرون بمفســدة الإنكــار المتعجل وضرره ، ولكنهم لا يشعرون بمفسدة السـكوت على المنكرات .

وكم رأينا من رافعٍ عقيرته بثلب إنكار يرى فيه نوعــاً من التســـرع وعـــدم الانضـــباط ، لكنه لا يتحـــدث بالحماس نفسه ، بل ربما لا يتحدث مطلقاً عن أولئك القاعدين الذين استمرؤوا المنكر ورضوا به ، وسكتوا عليه ، مع أن خطــأهم أعظم وأطم ، بل ربما يكــون تســـرع الآخـــرين ناتجــاً أصــلاً عن خطإ الســكوت والإغماض .

ومــتى وُجِــدَ المنكــرون بعلمٍ وحكمــةٍ وصــدقٍ, قَلَّت احتمالات حدوث إنكارٍ متسرعٍ غير متزن .

ومتى فقد الإنكار الشرعي الصـحيح فعلى المجتمع – بعامته وعلمائه ودعاته – أن يكون مستعداً لاحتمـالات حـدوث إنكـارٍ غـير شـرعي ، والسـنة جارية لا تحـابي أحدًا ولا تجامله .

آداب الأمر بالمعروف النهي عن المنكر

إن الـذي يـأمر بـالمعروف وينهى عن المنكر يتعامل مع نفـوس بشـرية ، فلـذلك لا بد أن يتحلى بصـفات معينة ، تيسر له المضي في الطريق وتحميه من الشطط بإذن الله .

وأهم تلك الصفات :

1 – العلم : إذ لا بد أن يعلم أن هذا منكر ؛ لينكـره ، وأن ذاك معـروف ؛ ليـأمر به ، وأن يعـرف وجه كـون هذا منكراً وهـذا معروفـاً ، وأن يعلم الطريقة المثلى للأمر والنهي .
وأما الـذي ينكر عن جهل فقد يفسد أكـثر مما يصـلح وإنك لترى كثيراً من الجهال ينكـرون مـالم يـألفوه ، وإن كـان معروفـاً في الحقيقة ، ومن أمثلة ذلك أني صليت الفجر يوماً من الأيـام إلى جـوار أحد العـوام ، فبعد أن تنفلت راتبة الفجر ، وتنـــاولت المصـــحف لأقرأ شيئاً من القرآن ؛ قال لي : لا ما يصلح هذا ، لا بد إذا انتهيت من النافلة أن تسـلم على من هو على يمينك ، ثم تسـلم على الـذي يسـارك ثم ترفع يـديك وتدعو بما تريد ، ثم تقرأ القرآن . فقلت له : سبحان الله هل تعلم دليلاً على مشروعية سلام الإنسان بعد النافلة على من هو على يمينه وعلى شماله ؟ فقال : لا والله . قلت : هل تعلم دليلاً على مشـــــــروعية واستحباب رفع اليدين بعد النافلة ؟ قال : لا ما أعلم , فقلت : لماذا تنكر إذن ؟ فقال : علمني جـزاك الله خـيراً فأخبرته أن هـذه الأمـور ليست سـنة ينكر على تاركها ، بل هي في هذا الموضع بالذات – بعد الصلاة

فريضة أو نافلةً – غـير مشـروعة ومن أهل العلم من حكم ببـدعيتها ، وأما أصل السـلام فمشـروع ، وأصل رفع اليــــدين بالــــدعاء مشــــروع ولكن التزامه بعد الصلوات النوافل هو محل النظر .
إذن فلا بد أن يكون المنكِر عالماً على الأقل بما ينكر وبما يأمر به .
2 – الرفق والحلم : لا بد للآمر الناهي أن يروض نفسه على الرفق والحلم ، فـإن التشـنج والانفعـال قد يسبب إخفاقاً في إنكـار المنكر بل قد يـؤدي إلى مضـــاعفته واتســـاع دائرته . ولا ريب أن كثـــيراً من المنكرات إذا رآها الغيـور فإنـه يغضب ويشـتد ، مهما كـان فيه من الانضـباط فليحـرص على إلجـام نفسه بلجام الرفق والحلم ، ومراعاة المصالح .
كما أن المنكِر قد يجد من المنكَر عليه فظاظة أو ردا جارحاً فلا بد أن يقابلها بصدرٍ رحب ، وبـدون انفعـالٍ ، وأن يـرد عليه بابتسـامة لطيفة ، أو بطرفـــةٍ تمتص الغضب ، وتفــــوت الفرصة على صــــاحب المنكَر أن يستفز المنكِر .
3 – العدل : أي أن يكـون المنكِـرُ عـادلاً ، فلا يجور على صاحب المنكَر ؛ فينسى فضائلـه ويضخم سيئاته وإنما يشهد له بحسناته وفضـائله ويـذكرها له فيـأتي مثلاً إليه ويقول له : يا أخي أنت رجل فيك خيركثير ، أشــهد أنك تحافظ على صــلاة الجماعة ، ولــديك من الفضائل كيت وكيت ،ولكن:

ولم أرَ في عيـوب الـناس عيبـاً
كنـقص القـادرين على التـمام

فليتك يا أخي تترك المنكر الفلاني ؛ حتى تزداد خيراً وفضلاً ، وبعداً عن السيئات .
وبهـــذا الأســـلوب العـــادل تكـــون فرصة القبـــول والاســـتجابة أعظم ، أما إذا تجاهل المنكِر حســـنات المنكَر عليه ، وأهدرها ، فإن هذا يكون مدعاة للنفور وعدم القبول .
والعـــدل كـــذلك مطلـــوب في قـــول الحق ولو على المنكِر نفسه فيما لو طـالت القضـية ، ووصـلت إلى المحكمة ، ورفعت إلى القضاء ، فلينتبه لذلك .

4 – الحكمة : وقضـــــية الحكمة في بـــــاب الأمر بــالمعروف النهي عن المنكر تشــكل على كثــيرٍ من الناس سـواء من المنكـرين أو المنكَر عليهم . فبعض النـاس يظن أن الحكمة تعـني تـرك الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر ، فلو قلت له : يــاأخي بــارك الله فيك قم صل ؛ لقـال لك : سـأقوم ، ولكن تكلم معي بحكمة . هكذا يقـول ، مع أنك لم تـزد على أن وجهت إليه نـــداءً أخويـــاً ، وحثثته على أداء فريضة . وفي مقابل ذلك قد لا يتحـــرى بعض المســلمين الحكمة تحرياً كافياً ؛ فيكون موقفهم من المنكَر غير سليم ، إن سلباً وإن إيجاباً .

والحق أن الحكمة في كل شــيء بحســبه ، كما قــال الشاعر :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى

فمن الحكمة أن تسـتخذم اللين في موضـعه ، كما أن من الحكمة أن تستخدم الشدة في موضعها.

وللتمثيل لهذه القضية أذكر القصة التي في الصـحيح ، قصة الغلام الـذي من بــني إســرائيل ، وهي طويلة لكن الشــاهد منها ما جـــاء في آخرها من أن الغلام قال للملك بعد أن عجز الملك عن قتله : هل تريد أن تعرف كيف تقتلني ؟ قال : نعم . قـال: اصـلبني إلى جذع شجرةٍ ، ثم اجمع الناس كلهم ثم خذ سهماً وقل : بسم الله رب الغلام وأرسل الســهم فســيقتلني . ففعل الملك ذلك ، فقال الناس كلهم بصـوت واحد : آمنا برب الغلام . آمنا برب الغلام (1) .

هكــذا ضــحى الغلام بحياته ؛ لأن الحكمة – بلا ريب - تكمن في هذا التصرف ، فإن موت ذلك الفـرد تـرتب عليه حيـاة ألـوفٍ مؤلفة من النـاس ، فبعد أن كـانوا أمواتــاً صــرعى للكفر أصـبحوا أحيــاء بالإيمــان بالله تعالى .

وقد لايســتطيع المــرء أن يقــدر مــوطن الحكمة في معالجة بعض القضايا ، فينبغي له حينئــذٍ أن يستشــير غيره وأن يســتنير برأيه ليكمل النقص الــذي قصر به عن إدراك موضع الحكمة والموقف الســــليم , وقد قيل: الناس ثلاثة : رجل كامل – أي الكمال النسبي – وهو الذي له عقل ويستشير , ونصف رجل وهو الذي له عقل لكنه لا يستشير , والثالث لا شيء لا عقل له ، ولا يستشير .
فاعمل على أن تكــون الأول، فــإن لم تبلغ ذلك فكن الثاني على الأقل وإياك أن تكون الثالث .
5 – الصــبر : فــإن الآمر بــالمعروف والنــاهي عن المنكر معــرض للأذى ، فلا يليق أن ينـــزعج ويجـــزع ويترك مهمته أو يتبرم بها , ولذلك قــال لقمــان لابنه وهو يعظه ((يابني أقم الصلاة وأمر بــالمعروف وانه عن المنكر واصــبر على ما أصــابك إن ذلك من عــزمِ الأمور)) (سورة لقمان 17)**.**

ذلك أن طريق الأمر بـــــالمعروف والنهي عن المنكر ليس مفروشـــاً بـــالورود والريـــاحين ، بل هو ملي بالأشواك والصخور والمصاعب الجمة فمن لم يتــذرع بالصـــبر خليق به أن يســـتطيل الطريق ويســـتثقل العمل فيتخلى عن المهمة الربانية الكريمة الــــــتي انتدب نفسه لها .
عجيب أمر بعضـــنا ! يقـــول : عنـــدي أخ أو زميل أو قريب لا يصلي أو يشـرب الخمر أو .... فـإذا قيل له : انصــحه واجتهد في نصــحه ، قــال : عجــزت عنه ، أو قـــال : ما فيه فائـــدة ! ســـبحان الله !! أين ذهبت ((فلبث فيهم ألف ســنةٍ إلاخمســين عامــاً)) (ســورة العنكبوت 14) **عن عقلك ؟ أين الصبر الجميل ؟ أين طول النفس ؟ أين دأب الدعاة وإصرارهم ؟**
أمِن مرةٍ أو مرتين أو عشر مرات .. تقــول عجــزت .. أو لا فائدة ؟

---
(1) رواه مسلم 3005

ربما أن الكلمة الـــتي جعل الله نجـــاة هـــذا العاصي بســـــببها لم تصل إلى أذنه بعد .. وربما تبــــذر أنت البــذرة ويــأتي غــيرك فيســقيها فتنبت وتثمر ، لكن

إياك أن تكـون كالكسـعى الـذي يضـرب به المثل في الندامة ، حين رمى بســهامه ليلاً فظن أنها لم تصب فكسر القـوس ، فلما أصـبح وجـدها كلها قد أصـابت الغرض فاغتم لكسر القوس غمـاً لا يوصف .. فاحـذر أن تكونه ! إن للقلـوب إقبـالاً وإدبـاراً ، وللنفـوس قتامـةً وإشـراقاً ومن المصـلحة أن تتعاهد المـدعو وقت إقباله وارتياحه بالكلمـــات الطيبـــات ، وتهاديه وتلاطفه ، وتحتال للوصول إلى قلبه بكل حيلة لا تذم ((ولأن يهـدي الله بك رجلاً واحـداً خـير لك من حمر النعم)) (1).

قضية المصلحة والمفسدة

المقصود بالأمر بـالمعروف النهي عن المنكر إنما هو تحصـيل المصـالح ودرء المفاسد بل إنما بعث الرسل الكرام – عليهم الصـلاة والسـلام – من أجل المصـالح وتكليمها ، وتقليل المفاسد وتعطيلها .
ولهذا إذا علم المسلم أن أمره بــالمعروف ونهيه عن المنكر ســـيترتب عليه مفســـدة في موقـــفٍ من المواقف فإنه يمنع من الأمر والنهي في ذلك الموضع .
ومما يروى في هذا الباب أن شيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله خـــرج مع بعض تلاميـــذه من دمشق وفي طــريقهم مــروا ببعض التــتر وهم يشــربون الخمر ، فهم بعض التلاميذ بالإنكـــار عليهم ، فقـــال شـــيخ الإسـلام : دعـوهم وما هم فيه . فقـالوا : نـتركهم – رحمك الله – على هذا المنكر ؟! قـال: نعم إن هـؤلاء القوم لو أفاقوا من سكرهم لدخلوا دمشق ، فهتكـوا الأعراض ، ونهبوا
الأمـوال وقتلـوا الرجـال . ولا يكـاد يوجد في الـدنيا مصـالح محضة ، ولا مفاسد محضة ، فالقضـية قضـية موازنة ، فــإن كــانت المصــلحة أرجح حُصــِّلَت ، وإذا كانت المفسدة أكبر دفعت .

وابدا بالمنكر الكبير قبل الصغير ودع الإنكار إذا ترتب على إنكـــارك منكر أعظم منه . وهـــذا هو ما يوافق مقتضى الشرع والعقل ، فإن مقتضاهما هو تحصـيل خير الخيرين ، ودفع شر الشرين .

---

(1) رواه البخاري (3973)

الاسرار والاعلان بالانكار :

ومما يتعلق بالمصـلحة والمفسـدة مسـألة الإسـرار والإعلان بالإنكار ، فـإن سـلوك أحد السـبيلين مرتبط بقضية المصلحة والمفسدة فقد تكـون المصـلحة في إعلان الإنكار ، وقد تكون في الإسرار به ، فـإذا كـان صـاحب المنكر معلنـاً مجـاهراً فالمصـلحة في الجهر بالإنكار عليه ، وإذا كـان المنكر شخصـياً أو خشي أن تأخذ صاحب المنكر العزة بـالإثم ، أو خيف أن يـترتب على الإعلان بالإنكـــــار منكر أشد فالمصـــــلحة في الإسرار بالإنكار .
وقد ورد عن السـلف – رضـوان الله عنهم – قصص عديـدة أنكـروا فيها علانية ؛ لأنهم رأوا المصـلحة في الإعلان :
فمن ذلك ما جــاء في الصــحيحين من أن أبا ســعيد الخدري خـرج مع مـروان بن الحكم إلى المصـلى في يوم العيد ، قـال أبو سـعيد : فلما أتينا المصـلى ، إذا منــبر بنــاه كثــير بن الصـلت ، فـإذا مــروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصــلي ، فجبــذت بثوبه ، فجبــذني ، فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له غيرتم والله . فقـال أبا سـعيد ، قد ذهب ما تعلم ، فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم (1) .
ومرةً أخرى خرج مروان إلى المصلى ، وقام ليخطب قبل الصــلاة فقــام إليه رجل وقــال : الصــلاة قبل الخطبة . فقـال : تـرك ما هنالك (2) .ـ وهكـذا أنكر عليه علانيــةً ؛ لأنه معلن بــالمنكر ، ولأن الرجل كما ذكر النـــووي (3) كـــان معـــتزا بظهر قبيلته ، ولأن مروان سبق أن أنكر عليه أبو سـعيد قبل ذلك – والله أعلم – فأصر .

وكم أنكر على أمـــير المؤمـــنين عمر بن الخطـــاب ، ولعل من أصح القصص في ذلك ما رواه الشيخان أنه لما حـــــدثت خصـــــومة بين عمر بن الخطـــــاب وأحد الصحابة مرةً من المـرات ؛ قـال أبي بن كعب لعمر : يـابن الخطـاب ، لا تكـونن عـذاباً على أصـحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(1) رواه البخاري (913) ومسلم (889)
(2) رواه البخاري (913) ومسلم (889). (3) رواه مسلم (49)

ولما نهى عثمان بن عفـان رضي الله عنه عن المتعة في الحج (أي جمع العمرة والحج) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لبيك اللهم لبيك عمرةً متمتعــاً بها إلى الحج, فلما قيل له في ذلــك؛ قــال أردت أن أبين للنــاس أن ما يأمرنا به عثمــان مخــالف لســنة النبي صلىالله عليه وسلم (1)
وكان معاوية رضي الله عنه يستلم الأركــان كلها في الـبيت ولا يكتفي باسـتلام الـركن اليمـاني أو الحجر الأسود ، فأنكر عليه ابن عبـاس – مع أن معاوية كـان أميراً – فقال معاوية : ليس شيء من البيت مهجوراً, فقــال ابن عبــاس ((لقد كــان لكم في رســول الله أسوة حسـنة))(سـورة الأحـزاب 21) وكـان الرسـول عليه الصـلاة والسـلام لا يسـتلم إلا الركـنين : اليمـاني ، والحجر الأسود (2) .
ودخل عائد بن عمــرو يومــاً على عبيدالله بن زيــاد – وكـان أمـيراً في العـراق – فقـال له : أي بـني ، إني سـمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقـول: ((إن شر الرعــاء الحطمة)) (3) فإيــاك تكـون منهم فقـال له : اجلس فإنما أنت من نخالة أصـحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فقـال : وهل كـان لهم نخالة ؟ إنما كـــانت النخالة بعـــدهم ، وفي غـــيرهم (4). .
(يعني في أمثالك !).
هكـذا كـان الأسـلاف يجهـرون بالإنكـار ولا يسـرون ، عندما يرون أن المقـام مقـام إعلان ، وأن المصـلحة في ذلك .

(1) انظر شرح مسلم 2/22
(2) البخاري (1563)ـ (3) رواه البخاري (1608) ومسلم (1269) والترمذي (858) وأحمد 1/332،372 .
(4) الحطمة : العنيف في رعيته .

من أخطاء الناس في قضية المصلحة والمفسدة

إن جهل كثير من الناس بقاعدة الموازنة : الترجيح بين المصلحة والمفسدة أوقعهم في أخطاء كبيرةٍ وربما لاموا غيرهم على فعل الأحسن والأكمل على فعل الأقل , لضعف نظرهم أو لإيثارهم ما يظنونه السلامة والورع لضعف فقههم ، وإلا فالورع ليس في ترك المشتبه بالمحرم أو المكروه فحسب بل من الورع فعل المشتبه بالمستحب أو بالواجب أيضاً .

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض المتدينة والمتفقهة في زماننا ما يلي :

1 – أن يدعوهم إيثار السلامة – في أنفسهم – والخوف من الفتنة إلى اعتزال مواطن المنكراتِ والبعد عنها ، مع قدرتهم على غشيانها والإنكار على

أصـــحابها ؛ وذلك خوفـــاً على أنفســـهم من هـــذه المنكـراتِ أن يصل إليهم شـيء من رذاذها وغبارها ، أو يصل إلى قلوبهم شيء من ظلمتها وسوادها .

حقا إن أصلح الناسِ إذا اشتـغل بالدعوة إلى الله في أوساط المشـركين أو المبتدعة أو الفسـاق لا يشـعر بالسعادة القلبية ولذاذة الإيمان التي يشعر بها غـيره من المقيمين بين أهل الخـــير والفقه والعبــادة ومع ذلك فقد يكون ما يقوم به من العمل والدعوة أفضل بمراحل مما يقومـــون به ، وقد يكـــون له من الفضل والخير ما ليس لهؤلاء .
وإن تَحَمُّلَ الضـرر اليسـير من أجل تحصـيل مصـلحة أعظم أمر مطلـــوب شـــرعاً وعقلاً، وما يفقـــده المشـتغل بـالنهي عن المنكر من راحة القلب لكـثرة رؤيته للمنكرات ثم تأثر القلب بذلك وضعف إشــراقه يعد أمراً يسيراً بالقيـاس إلى ما يقابله من المصـلحة العظيمة التي هي هداية النـاس وإقامة الحجة عليهم وأمــرهم بــالمعروف ونهيهم المنكِر وتحمل فــروض الكفاية عن الآخـرين , بل قد تكـون هـذه الأمـور من فـروض الأعيـان عليه على حسب التفضـيل السـابق في حكم الأمر بالمعروف النهي عن المنكر .
وكـــــــذلك ما يخافه على نفسه من منازعتها له إلى المنكـــــــرات ، ودعوته إليها ، مع ما يقابل ذلك من الإيمان والخوف من الله أما من يـرى في نفسه ميلاً صــريحاً إلى هــذه المنكــرات ، ويجد من نفسه الهم بذلك ؛ فهذا حـري به البعد عنها ؛ طلبــاً لنجـاة نفسه منها .
وهذا الباب يتفاوت فيه الناس تفاوتـاً كبـيراً ، وكثـير ممن يغلب عليهم الصــلاح والــورع يــؤثرون ســلامة أنفسهم ، وينسون أن السـلامة تكـون أيضـاً بالقيـام على أهل المنكرات ومضايقتهم وردعهم .

2 - ومن الأخطــــاء أيضــــاً ما يوجد في جمـــاهير طلاب العلم والـــدعاة في هـــذا العصر من العزوف عن تولي الأعمال التي فيها مصـــلحة عامة ، والإعـــراض عن التصـــدر

للتــدريس أو التوجيه أو القيــادة زهــدًا في الســمعة والجاه ، وكراهية للشهرة .
فيقول بعضهم : لست أهلاً لهذا . هذا يقوم به غيري ممن آتاهم الله القدرة . ومن الظلم للناس أن أقـوم بهـــذا الأمر .. إلى غـــير ذلك من التعليلات العليلة ، والأعـذار الـتي لو حاسب المتـذرع بها نفسه حسـاباً حقيقــاً لأدرك أنها لا تســتقيم ولا تصح ، ولكــان هو أول الناقدين لها .
والواقع أن أكثر الناس زهدًا في هذه الأمور هم أكثر النـــاس كفاءة وصـــلاحية لها – في الجملة - على ما فيهم من نقصٍ وقصورٍ .
وإن تخلي المخلصين الزاهـدين في الشـهرة والجـاه عن هــذه الميــادين جعلها مرتعــاً خصــباً لكل من لا يصـــلح لها : من حملة المـــذاهب الأرضـــية ، ومن المتظـاهرين بـالخير ، وهم على نقيضه ، ومن طلاب الشـــهرة الحريصـــين على كسب احـــترام النـــاس ومديحهم وثنائهم .
وكثـــيراً ما تلتبس المثبطـــات الشـــيطانية المغرية بالراحة والقعود بالرغبة في معالجة الأعمال المريحة الهادئة كـالقراءة والبحث والعبـادة ونحوهـا، وتلتبس هذه وتلك باحتقار النفس وازدرائها ، حتى لتبدو هذه الأمــور جميعها لصــاحبها نوعــاً من الزهد الســلفي الصحيح وما هي منه في شيء .
بل المتبع الحريص على خير نفسه وخير المسلمين ، هو من يبــذل ما عنــده من العلم والفهم والفقه ولو قل , دون أن يدعي ما ليس له ، وهو من يـزاحم أهل الضـلالة والبدعة في قيــادة المجتمعــات الإســلامية وتوجيهها ، ويسـتفيد من الفـرص المواتية في ذلك ، مع حرصه الشـــديد على ســـلامة نفسه من التعلق بالدنيا والجاه والمكانة عند الناس ، وجهادها في ذلك .

مهمة الشباب في ذلك المجال

يتســـاءل كثـــير من الشـــباب عن مهمتهم المطلوبة منهم في مجـال الأمر بـالمعروف النهي عن المنكر . وهذا التسـاؤل يـدل على بداية حسـنة ، ويـوحي بـأن الشباب وضعوا أرجلهم في الطريق بعزم ويحتـاجون فقط إلى من يبصرهم بواجبهم .

والحق أن الكلام عن هـــذه القضـــية يطـــول ، ولكن ســـأجعل الحـــديث عن أهم الواجبـــات الملقـــاة على عواتق الشباب في الآتي :

1 – أن يضـــــطلع الشـــــاب بمهمة الأمر بـــــالمعروف والنهي عن المنكر من منطق شمولي ، فيقوم بما قد يقوم به غيره ويزيد عليه , بحيث يؤدي مهمته في المنـــزل وفي المدرسة وفي العمل وفي الحي وفي الســـــوق وفي غـــــيره ، مستخدماً مختلف الوسائل ؛ من كلمةٍ وكتاب وشريط ومقاطعة للأماكن التي فيها فساد وغير ذلك .

أي أن يجعل الشـــــاب الأمر بـــــالمعروف النهي عن المنكر همه ووظيفته في كل أحيانه ، كلما أمكنه ذلك . ولئن اســـتطاع الشـــباب أن يـــؤدوا ذلك على الوجه المطلوب ، لتختفين – بلا ريب - ولا تـردد كثـير من المنكرات ولتظهرن كثير من السـنن المهجـورات ، بعون الله تعالى .

2 – أن يواصل الشباب العلماء : فـإن للعـالم تأثيراً كبيراً في إزالة المنكـرات ، وبخاصة المنكـرات الراسخة المتأصـلة الضـاربة بجـذورها في المجتمع ، التي يصـعب اقتلاعها على غـير العلمـاء ، الـذين لهم مكانتهم ، وكلمتهم المسموعة وركنهم الشديد .

فعلى الشـباب أن يلتفـوا حـول العلمـاء العـاملين ، المتبعين للســنة وأن يبلغــوهم بما يقع من منكـرات فالعالم قد يكون مشغولاً بدروسه وارتباطاته الكثيرة

، عن الوقوف على تفاصـيل ما يقع في المجتمع من المنكــرات . فــإذا جعل الشــباب من نفسه واســطةً لإيصال تلك المعلومات إلى العـالم – هـذا على الأقل – فــإن العــالم يكــون بــذلك مطلع على ما يجــري ، ويستطيع بالتالي أن يتخذ الموقف المناسب .

ولكن على الشــباب حين يبلغ العــالم عن منكـــرٍ أن يقدم له الإثباتات والوثائق ، حـتى كأنه يـراه بعينه أو يسـمعه بأذنه وألا يقتصر على مجـرد الظن لأن الأمر قد يكون على خلاف ما ظهر له .

ووســـــائل تزويد العلمــــاء والــــدعاة وطلبة العلم بمعلومــاتٍ عن المنكَر وســائل عديــدة ، منها - على ســبيل المثــال لا الحصر – أن يقــدم الشــاب لهم ما ينشر من مقالات ، أو قصائد أو كتب تخالف الإســلام أو تطعن فيه ، أو تــدعو إلى الرذيلة , إلى غــير ذلك .

ومـــتى وجد لـــدى الشـــاب الاهتمـــام والإحســـاس بالمسئولية والاحتراق لهذا الدين ، فستأتي الوسائل تباعاً ، بطواعيــةٍ وانقيـادٍ ، وأقل ما يجب في هـذا أن يكــون ثمة شــهود عــدول على حــدوث المنكر وأنهم رأوه أو ســــمعوه بأنفســــهم لقطع دابر الأقاويل والإشاعات والظنون .

3 – المشـــاركة في المجـــالات الرســـمية للأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر وهـذه

قضــية مهمة ، فــإن كثــيراً من النــاس يلقــون بالمســــئولية على غـــــيرهم ، ويتنصـــــلون منها ، فيتكلمون مثلاً عن جهـاز الأمر بـالمعروف النهي عن المنكر ، فيقولــون : إنه لم يقم بواجبه ، وقد يقــول بتعضهم ، إن كثيراً من الموظفين فيه كبــار السن .. إلخ .

ولكن الســؤال الــذي يجب طرحه هو : لمـــاذا أخي الشـــاب لم تقم بهـــذه المهمة , بـــدلاً من أن ننحي بالملائمة على غيرنا ؟! إن هـــذا الجهــــاز لو كـــان مـــدعوماً بعـــدد من الشـــباب الملـــتزمين الـــواعين المـدركين لكـان أقـوى من أن يقف في وجهه أحـد، مهما حورب أو وضعت في طريقه العقبات .

لكن لما تخلى أبنــاء الأمة عن مســئوليتهم ، وعــزف كثير من الشباب الصـالحين الجـامعيين عن التوظيف

في هذا الجهاز ؛ حصلت بعض السلبيات ، فعلينا أن ندرك أننا مسئولون عن هذا التقصير وأن نتداركه بقد المستطاع .

4 – أن نكون عوناً للآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر تحقيقاً لقوله تعالى

((وتعاونوا على البر والتقوى)) (سورة المائدة 2) وصور التعاون ها هنا متعددة .

- فقد يعمل الفرد مع الآمرين بالمعروف بصفته متعاوناً معهم في هذا السبيل .
- وقد يقوم بالتبليغ عن أي منكر تقع عليه عينه ، أو تسمعه أذنه ، أو يعلم بوجوده بأي وسيلة .
- وقد يدعو للقائمين بهذا العمل حيث إنهم يتولون القيام بهذه المهمة المقدسة بالنيابة عنا جميعاً .
- وقد يذب عن أعراضهم من ألسنة الطاعنين الذين يتناولونهم بغير حق – في الغالب – وبحق في القليل النادر ، مع أنهم يتجاهلون أخطاء الآخرين من الفئات الأخرى كافة .. وكأن من شروط رجل الحسبة أن يكون معصوماً !
- وقد يواصلهم بالزيارة في مواقع عملهم فيحدثهم ويستمع إليهم ويبثهم ما في نفسه من آراءٍ أو ملحوظات ، ويقيم روابط الود والمحبة معهم ، ليشعر هؤلاء الجنود المجهولين أن المجتمع يثمن جهدهم ويقدر سهرهم وعناءهم !
- فإن تعذر عليك هذا كله أخي , فلا أقل من الالتزام بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر كما في البخاري ((تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك)) (1) ولانرضى لك بحالٍ أن تنحاز إلى فئة المستهزئين الساخرين الذين توعدهم الله تعالى فقال ((إنا كفيناك المستهزئين)) (سورة الحجر 95) .

وقال ((ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياتهِ ورسولهِ كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)) . (سورة التوبة 65 – 66) .

المرأة ومقاومة المنكر

كما أن المسلم مطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكــذلك المــرأة المســلمة مطالبة بالقيــام بمهمتها في ذلك الباب .
ومن هنا فـإن على الأخت المسـلمة الملتزمة بالـدين الداعية الواعية أن تـدخل في المجـالات المباحة وأن تؤدي مهمتها وتقوم بمسئوليتها في هذه المجالات .
فينبغي أن تـــدخل في مجـــال التعليم ، عن طريق الدراسة والتعلم ، والتعليم والتوجيه والإدارة وتحضير الدراسات العليا وغير ذلك .
ومجال الجمعيات الخيرية : مشاركة وقيادة وتوجيهــاً ومحاضرةً وغير ذلك .
وفي مجــال المناســبات العامة : نصــحاً وإرشــاداً ، وتوعيةً ودعوة إلى الله بمختلف الطرق الشرعية .
وفي مجـــال المبـــاح لها من الإعلام : بالكتابة في الصـحف ، والمجلات ، سـواء كـانت تلك الكتابة دعـوة إلى الله ، أو احتســاباً على الكتابــات المضــللة ورداً عليها ، أو نحو ذلك .
وفي مجال التأليف : بإصدار كتبٍ موجهة إلى المـرأة المسلمة ، تعالج قضايا المـرأة وتزيـدها وعيـاً بـدينها وتنبهها إلى ما يحاك ضدها من المؤامرات .
كل هذه المجـالات الـتي أصـبح الأعـداء يحـاربون من خلالها الإســلام ، ينبغي للمســتقيمات الغيــورات أن يدخلن فيها ويحاولن التغيــير في المجتمع من خلالها ، لأن هذه المجالات حيادية ، فإذا تولاها أهل الفســاد كـــان دورها تخريبيـــاً وإذا تولاها أهل الصـــلاح كـــان دورها إصلاحياً .

---

(1) رواه البخاري (2382)

إن اكتفاء الغيورات المؤمنات بالشــكوى والتوجع من المنكرات التي تحدث ليس حلاً لمشــكلات الأمة وإنما الحل أن يكون هناك خطوات عملية جادة للتــأثير في الواقع ، وأن يكون بين الصالحات شخصــيات معروفة لها نشـــاط إســـلامي قـــوي مجاهـــدة داعية آمـــرة بـالمعروف ناهية عن المنكر ، تكتب وتحاضر وتـدرس وتوجه وتقوم بواجبها في مجالها المناسب .

والتفريط كل التفريط والرزية كل الرزية أن ينطوي الصالحات على أنفسهن ويخرجن من الساحة ويدعن الضالات المنحرفـات يـدرن الدفة ويسـرن بـالمجتمع إلى الهاوية .
إن ثمة نساء موتورات منهزمات يحملن فكراً تغريبيـاً تخريبياً ونساء بليدات مقصـرات لا يعـنيهن أمر الأمة ونســاء يــوجههن أزواجهن المنــافقون إلى تــرويج الفساد الفكري والخلقي بين الفتيات .
فأحــذر الأخــوات الــداعيات إلى الله من أن يــتركن الميـدان لهـؤلاء فتتلـوث البيئة بجـراثيم الانحـراف والضلال ؛ فيعضضن بنـان النـدم إذ لات حين منـدم ، فإن أخشى ما يخشاه المصـلحون اليـوم هو أن يأتينا الشر من قبل المرأة لأن أعداء الإسلام يركزون على محاولة إفســاد المــرأة ؛ إذ بفســادها يكــون فســاد المجتمع قاطبـةً كما هو مشـاهد عيانـاً في كثـير من المجتمعات .
فهل تعي المؤمنة حجم المســـئولية الملقــــاة على عاتقها وتنفر لمقاومة المنكر ونشر المعروف ؟!

معوقات الأمر بالمعروف النهي عن المنكر

كثير من الناس – ولا سيما الشباب – يحجمون عن الأمر بالمعروف النهي عن المنكر لأسباب ما كان ينبغي أن تقف عائقاً في طريقهم ولا أن تصدهم عن غايتهم أو تقعد بهم عن أداء واجبهم فهي أسباب وهمية أو ضعيفة أو ناتجةٍ عن جهلٍ .

فلنستعرض أبرزها مع بيان شيء من علاجها :

1 – الخجل : فإن كثيرين – لعدم تعودهم – يعانون من الخوف والخجل والهيبة من الناس وهذا الشعور لا يزول إلا بالممارسة العملية ، فعلى المسلم أن يكسر هذا الحاجز ، وأن يبدأ الطريق وسوف يزول الخجل تدريجياً بصورة تلقائية .

2 – يقول بعض الشباب : أنا عاص فكيف أغير المنكر وأنا كذلك ؟!

فنقول له : غير المنكر وإن كنت عاصياً فقد قال الله تعالى عن بني إسرائيل ((كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه)) (سورة المائدة 79) مما يدل على أن فاعل المنكر مطالب بالإنكار وهذا مذهب عامة العلماء ، بل حكى بعضهم الإجماع عليه ولكن أكثر الناس لا يعلمون :

ولو لم يعظ في الناس من هو مذنب
فمن يعظ العاصين بعد محمد

ووقوعك في معصيةٍ لا يسوغ لك الوقوع في معصية أخرى , أعني معصية السكوت عليها وعدم إنكارها .

3 – وقد يقول قائل : أنا لست عاصياً ، ولكن لي أخاً عاصياً فكيف أنكر على الناس وهم يرون أخي واقعاً فيما يقترفون من الذنوب ؟!

ويقال له : هذا ليس بعـذر ؛ لأنك لست سـلطاناً على قلب أخيك فقد أمرته ونهيته فلم يمتثل ومضـــــيت تأمر غيره وتنهـاه فـامض في ذلك ولا تكـترث للـذين يعيرونك بأخيك فإنهم إنما يريدون أن يؤذوك ويثنوك عن واجبك ؛ لتتركهم في عصيانهم ، مع علمهم بأنك حـــاولت في هداية أخيك ولكن ((إنك لا تهـــدي من أحببت)) (سـورة القصص 56) . فلا تثريب عليك وإن كان أخاك ((ولا تزر وازرة وزر أخـرى)) (سـورة الأنعـام 164 ، الإسراء 15 ، فاطر 18 ، الزمر 7) .

4 – وربما قـال آخر : كيف آمر بـالمعروف وأنهى عن المنكر ولن يسـمع مـني ، ولن يزول المنكر بمحاولتي التغيير فما الداعي أن أكلف نفسي بدون نتيجة ؟!

وكأن هذا الأخ يريد أن تـزول المنكـرات بمجـرد كلمة يقولها وهذا – بدون شك – تصور غـير سـليم ونظـرة غير سديدة ، فإن هذا التغيير الكامل التلقائي بمجـرد كلمة أو جـرة قلم لا يملكه حـتى الحـاكم وإنما الـذي تقتضـــيه طبيعة الأمـــور أن كل شـــيء لا بد فيه من مراعــاة التــدرج ، حــتى يتم الوصــول إلى النتيجة . والمهم هو أن يكــون لـــدينا النية الصــادقة والعـــزم الأكيد لإزالة المنكــرات والبداية الصــحيحة في هــذا السبيل .

أما أن نطمع في أن تطهر الساحة من المنكرات في لحظة فهـذا غـير ممكن !! فـإن للمنكر مؤيـدين من المنافقين والفاسقين ، وانتشاراً واسـعاً في الأمة ، وتـأصلاً في نفوسهم .

وأنت أيها الأخ المصـــلح حين تنكر المنكر فلا تظن – مهما كانت النتيجة ضـعيفة – أنك لم تـؤثر , **بل قد حققت عدة مكاسب :**

أولها : أنك قـاومت المنكر في نفسك ؛ لأنك مهـدد بـأن يصل المنكر إليك - أي أن تقع فيه - فـإذا أنكرته سلمت من مقارفته بإذن الله تعالى .

ثانيها : نـوال الأجر من الله – تعـالى – على القيـام بهذه الفريضة ، وإحياء تلك الشعيرة .

ثالثها : أنك قد تقلل من المنكر .

رابعها : أنك قد تزيله .

خامسها : أنك - على أقل تقـدير - قد تمنع حـدوث غـيره من المنكـرات ؛ لأن الـذي يـراك أنكـرت منكـراً واقعاً ؛ لا يستطيع أن يفرض عليك منكراً جديداً .

كما أن الإنكـــار يكـــون ســـبباً في عـــدم اســـتقرار المنكرات في المجتمع ، حتى تصبح كالمعروف ، ذلك أن المنكر إذا نشأ عليه الصغير ، وهـرم عليه الكبـير ، ولم يوجد من ينكـره فإنه يصـبح حقـاً ومعروفـاً عند الناس يستغربون تركه ويتحاضون على فعله . أما إذا وجد في المجتمع أولوا بقيـــةٍ ينهـــون عن الفســـادِ ويهتفـــون في النـــاس بـــأن ذلك منكر وشر ، فهـــذا يكفي لحماية المـــــوازين - وإن لم يســـــتطع أولئك المصلحون تغيير المنكر - وقد يأتي من يغـيره ويزيله بعدهم .

5 - وبعض الناس يخافون من الأذى ، والأذى لا بد منه في هـــذا الطريق ((لتبلـــون في أمـــوالكم وأنفســـكم ولتســـمعن من الـــذين أوتـــوا الكتـــاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثـيراً)) (سـورة آل عمـران 186) ولهذا أمر لقمان ابنه بالصبر في ذلك فقال : ((يا بـــني أقم الصـلاة وأمر بـــالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك)) (سورة لقمان 17) .

والرسـول صـلى الله عليه وسـلم يقـول ((المـؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خـير من الـذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)) (1) فـالأذى دليل على أن المـــرء - إن شـــاء الله - مـــؤمن وأنه يتحلى بصـــفات المؤمـــنين ؛ لأن المـــؤمن يبتلى على قـــدر إيمانه .

6 - وهناك من يحجم عن الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر بحجة أنه يخشى أن تحدث فتنة ونقول لهذا : إن الفتنة هي ترك الأمر بـــــالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقد عـــــاب الله - تعالى - على المنافقين أنهم تركوا الخروج مع النبي صـــلى الله عليه وســـلم للغـــزو بحجة خـــوف الفتنة ((ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا)) (سورة التوبة 49) .

فيا من تــرك الإنكــار خوفــاً من الفتنة – بزعمه – إن أمامك فتنة قائمة واقعة ، وهي المنكر ، فكيف تترك إزالتها خشــيةً من فتنــةٍ متوقعة محتملة قد تقع وقد لاتقع ؟! وقد يكون خوف الفتنة من سـوء التقـدير أو الجبن فـإن الجبـان يخـاف من كل شــيء ، حـتى من ظله ولذلك لاينكر شيئاً ، قال الشاعر:

يرى الجبناء أن العجز عقل
وتلك سجية الطبع اللئيم

رواه أحمد 2/43 والترمذي (2507) وابن ماجة (4032) .

نماذج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تضــمن ما ســبق من الحــديث عــدة نمــاذج حية للأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر وهــذه نمــاذج أخــرى لعلنا نعي موطن القدوة والعبرة منها :

الأول : شـيخ الإسـلام ابن تيمية الـذي اسـتطاع أن يكسب قلوب الناس بصدقه ونصحه وبذله الجهد حتى في مصــالح النــاس الدنيوية . فقد كــان - كما ذكر الذهبي – يتعب في مصالح الناس ليلاً ونهـاراً ، سـراً وجهـراً ، بلسـانه وقلمه ، وذلك ببـذل جاهه في دفع الظلم ونفع النـاس وتحصـيل مصـالحهم ، وما شـابه ذلك من وجـوه الخدمة والنصح للمسـلمين ، بقـدر ما يستطيع .

ومكانته الكبـــيرة في نفــوس النـــاس جعلت له كلمة مســموعة ولــذلك كــان يــأمر بــالمعروف وينهى عن المنكر على المســتوى الرفيع . ومما يـــذكر في ذلك أنه ذهب إلى السلطان المملــوكي في مصر لما جــاء التتر إلى بلاد المسلمين ، وقد رأى أن ســلطان مصر أبطأ في المجيء إلى الشـــام ، فقـــال له : إن كنتم أعرضــتم عن الشــام وتركتمــوه ، فإننا نجعل له من يحوطه ويحميه في زمن الخوف ، ويســتغله في زمن الأمن ، ثم تلا قول الله تعالى ((وإن تتولوا يســتبدل قومــاً غــيركم ثم لا يكونــوا أمثــالكم)) (ســورة محمد 38)
وكان مما قاله له أيضاً : إنه لو قدر أنكم لستم حكـام الشـام ولا ملوكه ، واستنصـركم أهله ، لـوجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وملوكه ، لا يســـــعكم إلا الخروج !! فخـرج السـلطان إلى الشـام ، وخـرج معه الناس .
وكـان شـيخ الإسـلام يخـرج مع النـاس في المعـارك يثبت قلوبهم بالوعظ والتذكير ، حتى إنه كـان يقـول لهم : إنكم منصــورون . فيقولــون له قل : إن شـــاء الله , فيقــول : إن شـــاء الله تحقيقــاً ، لا تعليقــاً . وهكـذا كـان ، فقد انتصر المسـلمون بعـون الله على التتر .
وعلى هـــذا النحو كـــان – رحمه الله – يعيش همـــوم الأمة على مستوى الأفراد وعلى المستوى الجمـاعي ؛ فيـــؤثر في مســـيرة الأمة ويشـــاركها في جهادها وأفراحها وأتراحها .

الثاني : العز بن عبدالسـلام ، المعـروف بسـلطان العلماء ، وله عدة مواقف جليلة في الأمر بــالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن ذلك موقفه مع ســــــلطان الـديار المصـرية ، فقد خـرج ذلك السـلطان في يـوم العيد في مـوكب عظيم ، والشـرطة مصـطفون على جوانب الطريق ، وحاشيته يحيطون به ، والأمراء بين يديه ، والعز – رحمه الله – يرى ذلك فنادى السـلطان قـائلاً : يـاأيوب ! ما حجتك عند الله إذا قـال لك : ألم أبوىء لك ملك مصر تبيح الخمـور؟ فقـال : أو يحـدث هـذا ؟ فقـال : نعم في مكـان كـذا وكـذا - حانه يبـاع

فيها الخمر - , فقال السلطان : يا سـيدي هـذا أنا ما عملته هــذا من عهد أبي . فهز العز بن عبدالســلام رأسه وقـال : أنت من الـذين يقولـون : ((إنا وجـدنا آباءنا على أمة)) ؟! فأصـدر السـلطان أمـراً بإبطـال الحانة ، ومنع بيع الخمور . وانتشر الخـبر بين النـاس ورجع العز إلى مجلس درسه ، فجـاءه أحد تلاميــذه - يقـال له (البـاجي) - فسـأله قـائلاً : ياسـيدي كيف الحـــال ؟ فقـــال : يا بــــني رأيته في تلك العظمة ، فــأردت أن أهينه لئلا تكــبر نفسه فتؤذيه . فقــال : ياســـيدي ! أماخفته ؟ فقـــــال : والله يا بـــــني لقد استحضــرت عظمة الله – تعـالى - فصــار السـلطان أمامي كالقط .

الثالث : المنذر بن سعيد البوطي (سلطان الأنــدلس) وله مواقف عجيبة ، منها الموقف التالي :

كــان الخليفة عبــدالرحمن الناصر كلفــاً بالعمــارة ، وإقامة المعـالم ، وتشـيد الـدور ، ومن ذلك أنه بـنى مدينة الزهراء ، واستفرغ جهده في تنميقها وإتقــان قصـورها ، وزخرفة مصـانعها ، حـتى لقد تـرتب على اهتمامه بـذلك الأمر وإشــرافه عليه بنفسه أن تــأخر عن صلاة الجمعة ثلاثةٍ اسابيع متوالية فلم يصــلها مع المنذر بن سـعيد – وكـان يتـولى الخطابة والقضـاء – فــأراد المنــذر أن يعظ الخليفة ويكسر من غــروره ، ويحاســبه على إنفاقه الأمـوال الطائلة في التشـييد والعمارة ، وعلى انشغاله بذلك عن الإقبال على الله .

فلما كان يوم الجمعة ، وحضر الخليفة ، صعد المنــذر المنبر ، فبدأ الخطبة بقول الله تعالى ((أتبنــون بكل ريـع آية تعبثـون . وتتخـذون مصـانع لعلكم تخلـدون . وإذاً بطشتم بطشتم جبارين . فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعامٍ وبنين . وجنــاتٍ وعيــون . إني أخــاف عليكم يــومٍ عظيمٍ)) (سورة الشعراء 128 ـ 135) **. واسترسل يقول : ولاً تقولواً ((ســواء علينا أوعظت أم لم تكن من الــواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين . وما نحن بمعذبين]** (ســورة الشــعراء 136 –ـ 138) **((قل متاع الدنيا قليل والآخرة خـير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً))** (سورة النســاء 77) **ومضى يذم الإســراف في تشــييد البنــاء ، والعناية بــالزخرف ،**

بلهجة شـــديدة ثم تلا قـــول الله عز وجل : ((أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خير أم من أسس بنيانه على شفا جرفٍ هـارٍ فانهـار به في نـار جهنم والله لا يهــدي القــوم الظــالمين . لا يــزال بنيـانهم الـذي بنـوا ريبـةً في قلـوبهم إلا أن تقطع قلوبهم)) (سورة التوبة 109 – 110) .

وأتى بما يشاكل هذا المعـنى ؛ من التخويف بـالموت وفجاءته ، والتزهيد في الدنيا ، والترغيب في الآخرة ، وأسهب في ذلك وأضاف إليه ما حضـره من الآيـات القرآنية ، والأحاديث ، وآثار السلف ، وأقول الحكماء والشعراء وغير ذلك ، حتى بلغ التأثر بالنــاس مبلغه ، وضجوا بالبكـاء وكـان للخليفة من ذلك نصـيب كبـير .

إلا أنه وجد في نفسه على المنذر ، وشكا إلى ولده " الحكم " ما لقيه من الشـــيخ ، وقـــال : والله لقد تعمدني بالكلام ، وقد أسرف علي وبالغ في تقريعي . وأقسم ألا يصلي وراءه مـرة أخـرى ، وصـار يصـلي وراء أحمد بن مطرف خطيب جامع قرطبة .

هـــذه هي أقصى عقوبة كـــان بإمكانه أن ينــــزلها بالمنذر بن سعيد، لأنه يعرف له مكانته وقدره .

فـــرحم الله أولئك العلمـــاء العـــاملين ، الآمـــرين بالمعروف والناهين عن المنكر غير خـائفين في الله لومة لائمٍ ، أو جبروت حاكم .

إنهم قومٌ شعروا بثقل الأمانة الملقاة على عواتقهم ؛ فشـمروا لحملها . وأيقنـوا بحفظ الله لهم وتأييـده إياهم ، فبذلوا في سبيل إظهار دينه كل ما يملكون ، ونصحوا للأمة حق النصح ، فلا عدمت أمثـالهم الأمة ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

****